العصر المريومي

رواية

مريم توركان

العصر المريومي

مريم توركان

حقوق الملكية الفكرية

كتاب: العصر المريومي

تأليف: مريم توركان (ستو مريم)

فريق العمل والإخراج الفني:

تمت مراجعة وإخراج هذا العمل بواسطة فريق MT Academy Freelancer:

التدقيق اللغوي والنحوي: قسم اللغة العربية بـ MT Academy.

التصميم الجرافيكي والغلاف: وحدة التصميم بـ MT Academy.

التنسيق الداخلي Typist: MT Academy Support.

حقوق النشر:

لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزينه في نظام استرجاع المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال أو بأي وسيلة (إلكترونية، أو ميكانيكية، أو تصوير ضوئي، أو تسجيل، أو غير ذلك) دون إذن كتابي مسبق من الأكاديمية، باستثناء

اقتباسات قصيرة تُستخدم في المراجعات والتقارير الصحفية بشرط ذكر اسم المصدر.

جميع الحقوق محفوظة للكاتبة ولـ MT Academy © 2026.

"أصل الحكاية تاريخ.. وفنّها تدقيق"

للتواصل مع فريق العمل أو طلب خدماتنا:

عبر التليجرام: @MT_Academy_Support

قناة الواتساب الرسمية:

https://whatsapp.com/channel/0029VbCG93p8F2pEmb0hOV0u

الإهداء

إلــى مَــن ضــاقَ بِــهِ زحــامُ العصــر، وآذاهُ ضــجيجُ البشر..

إلــى مَــن يبحــثُ بــينَ الرُّكــامِ عــنْ وردة، وفــي عتمةِ القسوةِ عنْ مَودّة..

إليــكَ يــا بطــلَ هــذهِ الســطور، يــا مَــن لا تقــرأُ الكلماتِ بلْ تسكنُ الدور..

هــذا العــالمُ لــم يُكتَــب ليُقــرأ، بــلْ بُنــيَ ليكــونَ لــكَ ملجأً ومرفأ..

فــَ (لــو ســمحتَ).. اتــركْ خلــفَ البــابِ أثقــالَ عامِكَ هذا، وتفضلْ بدخولِ مملكتِكَ الخاصة.

التمهيد

(همسةٌ قبلَ العبور)

قفْ قليلًا أيها العابر..

قبلَ أنْ تطأَ قدماكَ عتبةَ البابِ الأول، اعلمْ أنكَ لستَ مجردَ قارئٍ يتصفحُ الخيال، بلْ أنتَ (آدم) الذي سئمَ الجدال، وقررَ أنْ يتبعَ النورَ في عتمةِ الاحتيال.

فيما يلي، ستجدُ مواقفَ عشناها في واقعنا المريرِ، تُعرضُ أمامكَ بمرآةِ العصرِ المريوميّ المنير. ستكتشفُ كيفَ يغدو "الدبشُ" زهرًا، وكيفَ يتحولُ "الصفارُ" طُهرًا، وكيفَ تنطقُ آياتُ الذكرِ الحكيمِ في كلِّ حكايةٍ لتجعلَ منْ حياتِكَ نهرًا منَ السكينة.

استعدَّ للرحلة، فالفجوةُ الزمنيةُ لا تفتحُ أبوابها إلا لمنْ ملكَ "عيون اللوسمحت"..

هيا بنا لنغوصَ في أعماقِ الزمان.

المقدمة

بسمِ اللهِ ربِّ الأقلام، مُنشئِ الأيَّام، وباسطِ السلامِ على الأنام.

أما بعد؛

فهذا كتابٌ لا يحدهُ زمان، ولا يحيطُ بهِ مكان، هوَ هجرةٌ منْ ضيقِ الواقعِ إلى سعةِ الجنان، وهروبٌ منْ جفاءِ الجحودِ إلى رقةِ الإحسان.

في زمنٍ صارَ فيهِ اللطفُ عملةً نادرة، والغلظةُ لغةً سائدة، والقلوبُ عنِ الجمالِ غائبةً حائرة.. قررنا أنْ نفتحَ في جدارِ الوقتِ فجوة، ونبنيَ منْ حطامِ القيمِ رَبوة، ونُقيمَ للأصولِ والذوقِ دعوة.

هنا (العصرُ المريوميُّ) النديّ، حيثُ الكلامُ نقيّ، والجارُ تقيّ، والقلبُ صفيّ. هنا نغوصُ في أعماقِ الأزمان، لنستخرجَ منْ

مَعـــينِ القـــرآن، دواءً لمـــا أصـــابَ نفـــوسَ الجيـــران، ونرســـمَ باللطافـــةِ لوحـــةً لا تعـــرفُ الخذلان.

الفصل الأول

كان يا ما كان..

جلستْ تُحدِّثُ نفسها أمام المرآة.

ليتني وجدتُ آلة الزمان التي حدّثتني عنها جدّتي في ذلك الحلم، تُرى هل كُنت أجرؤ على مغادرة هذا العالم إلى عوالم أُخرى لا أعرف عنها سوى اسمها؟

على أيّة حال كان حلمًا وذهب لحال سبيله.

أمسكت بالكُحل الفاحم فأخذت تُمررهُ على عينيها ذهابًا وإيابًا حتّى غدتا كعيون الريم!

ثُمَّ قامت بترطيب شفاهها الجميلة وتطييت بعدما أسدلت شعرها، وخلعت عنها ثوبها الأحمر واستبدلتهُ بآخر أبيض مخصصٍ للنوم.

استلقت في سريرها وأخذت تُحدِّثُ دُميتها حتّى داهمها النعاس، وراحت في سُباتٍ عميق.

مكانٌ فسيح أشبه ما يكون بجنّةٍ لم تُسكن بعد!

مساحات شاسعة خضراء، نوافير المياه تملأ المكان، الورد الأحمر لهُ نصيب الأسد من بين باقي الورود.

السماء صافية جدًّا وكأنَّها خُلقت للتو!

الأرض نقيّة حتّى إذا رأيتها ظننت نفسك في عصرٍ ما ربما يكون عصر ما قبل الظُلم.

مراميرو!

أتاها صوت جدّتها من بعيد.

نظرت يُمنةً ويُسرة فلم تجد أحدًا، عاد الصوت يُناديها من جديد، هرولت خلفهُ فإذ

بجـــدّتها تتوســـط حديقـــة غنّـــاء، ترتـــدي ثوبًـــا أبـــيض كالحليـــب الصـــافي، تبتســـم وكـــأنَّ الشمس تُشرق بثغرها!

جدّتي أشتاقُ إليكِ كثيرًا جدًّا!

قالتها والدمع يهطل من عينيها.

اقتربـــت منهـــا الجـــدّة، نظـــرت إليهـــا بـــتمعُنٍ ثُـــمَّ قالـــت: لا بـــأسَ عليـــكِ بعـــدَ اليـــوم مريميّـــة، هيّـــا تعالي إلى حضن جدّتكِ.

احتضـــنتها وعقبـــت: أشـــعرُ بمُعاناتـــكِ بُنيّتـــي، لـــذا ســـأدُلكِ علـــى شـــيءٍ بإمكانـــهِ أنْ يُبلّغـــكِ مُرادكِ.

نظـــرت إلـــى جـــدّتها بلهفـــةٍ وقالـــت: أيـــنَ هـــو جدّتي؟

أينَ هو؟

تبسمت الجدّة وقالت: في قبو منزلي القديم، ستجدينَ مصباحًا عتيقًا، كانَ نوارًا في الماضي، حزن ففقد شغفه ولم يعد يعمل!

إن استطعتِ أن تُعيدي للمصباح شغفه ستحصلينَ على مطلبكِ وتبلغين مُرادكِ.

حسنًا جدّة، بعونِ الله سأفعل.

قالتها مريميّة بلهفة.

ضحكت الجدّة حتّى بدت نواجذها وقالت: ولكن اعلمي أنَّ المصباح يُضاء بالحُبّ لا بشيءٍ آخر.

بالحُبّ!

عقبت مريميّة وقبل أن تسأل جدّتها اختفت الجدّة، بحثت عنها في سائر الحديقة ولكنها لم تجدها، عادت إلى المكان الشبيه بالجنان، تنسمت الهواء الطلق، وشربت الماء العذب، وأخذت تلهو وتمرح مع الفراشات

الجـــذابات حتّـــى ســـمعت صـــوتًا يُناديهـــا: ميـــرو يـــا مراميـــرو، هيـــا، انهضـــي فقـــد دقـــت الســـاعة الحادية عشرة.

فتحـــت عينيهـــا علـــى مهـــلٍ فوجـــدت أُمّهـــا تبتســـم لها.

نهضـــت مـــن فراشـــها وأخـــذت تنظـــر لســـقف الغرفة عِدّة دقائق ثُمَّ ذهبت إلى دورة المياه.

اغتســـلت وعـــادت لتُصـــفف شـــعرها، ثُـــمَّ تطيبـــت واكتحلت وذهبت لتُباشر عملها المنزلي.

وهذا كُلّ ما جرى أُمّ يوسف.

قالها يحيى قبل أن يُغلق الهاتف مع أخته.

أُمّ يوســـف: حســـنًا أخـــي، ســـأُفاتحها فـــي الموضوع، ولكن أبلغهُ بالموافقة مبدئيًا.

ميرا، ميرا حبيبتي أينَ أنتِ؟

ها أنا قادمة أُمّي.

جلستا بغرفة المعيشة، أخذت نودا توضح لفتاتها سرّ اتصال خالها يحيى رغم انشغاله الدائم بالعمل.

أتعلمينَ لِمَ اتصل خالكِ يحيى؟

ليسَ بعد أُمّي.

حسنًا، لأُخبرنّكِ، قد هاتفني يحيى بخصوص موضوعكِ وفهد و....

مريميّة مقاطعة: موضوع ماذا؟

ليسَ بيني وبينه أيّة مواضيع، ولا دخل لكم بي، دعوني وشأني رجاءً.

نودا بانفعال: موضوع زواجكِ من فهد، ما الذي لا يُعجبكِ بهِ وبنات حواء يحلمن بهِ؟!

مريميّة بغضب: لتظفر بهِ واحدة منهنَّ، أمَّا أنا فلا حاجةَ لي بهِ.

نـــودا بعصـــبية: لكـــنَّ خالـــكِ يمدحـــهُ؛ إذ هـــو الخلـــوق، الحنـــون، ابـــن الأصـــول الـــذي يتمنّـــاكِ ويرغب بكِ أيما رغبة.

مريميّـــة بانفعـــال: إذًا ليُزوجـــه إحـــدى بناتـــه، أمَّا أنا فلا.

نـــودا بعصـــبيةٍ بالغـــة: بـــل أنـــتِ مَـــن يُريـــدها ويتمنّـــى رضـــاها، قـــد ذاب الرجـــل عشـــقًا فيـــكِ فـــلا تحرمينـــهُ نفســـكِ، كمـــا أنَّـــهُ يعمـــلُ بـــذات الشـــركة التـــي يعمـــل بهـــا خالـــكِ، لـــذا لـــن تكـــوني وحيـــدة هنـــاك بـــل ســـتكونين بـــالقُرب مـــن خالـــكِ بأرض الحرمين الشريفين.

صـــرخت مريميّـــة ودمعهـــا ينســـال علـــى خـــديها: أنـــا لا أرغـــب فـــي الـــزواج، دعينـــي وشـــأني يـــا أُمّي.

نـــودا: إلـــى متـــى ســـتظلين عـــذراء، أتظنـــينَ نفســـكِ الســـيدة أُمّ المســـيح، أم أنَّـــكِ قـــد ترهبنتِ، هيا أخبريني؟

قـــد تقـــدّم لخطبتـــكِ صـــنوف الرجـــال، مـــا فـــاق عـــددهم شـــعر رأســـكِ، ناهيـــكِ عـــن الـــراغبين بـــكِ فـــي صـــمت، أمَّـــا أنـــتِ فـــلا رغبـــة لـــكِ فـــي إدخـــال السرور على قلب أُمّكِ.

مريميّـــة بـــدمعٍ منهمـــر: قـــد تـــم اغتيـــال رغبتـــي حـــينَ رأيتُـــكِ تُضـــربين أمـــام عينـــي وأنـــا طفلـــة صـــغيرة، بـــل تـــم جـــرح قلبـــي حـــينَ حاولـــت الـــدفاع عنـــكِ وأنـــا ابنـــة الأربعـــة عشـــر عامًـــا، فكـــانَ نصـــيبي أن ســـبّني أبـــي وآلـــم نفســـي، مـــاذا جنيتُ لكما أنا بحق الإله؟

نـــودا وقـــد تســـاقط دمعهـــا: ســـامحيني يـــا ابنتـــي، لكـــن لـــيسَ كُـــلّ الرجـــال أبـــاكِ، وهـــذا فهـــد يُشـــبهكِ إلى حدٍ كبير، هو يُحبُّكِ كثيرًا.

مريميّـــة غاضـــبة: لا لـــن أتزوجـــه، دعـــوني وشأني.

نودا بعصبية: أمجنونةٌ أنتِ؟

مَن ترفض فهد؟

فهـــد ابـــن الأصـــول، المهنـــدس، الخلـــوق، الثـــري، الـــذي تـــرك بنـــات بلـــده وهـــامَ عشـــقًا فيكِ.

مريميّـــة بصـــوتٍ مبحـــوح: لـــن أفعـــل، لَـــنْ تُجْبِرُوني على شيء.

نـــودا بحـــزم: قـــد أبلغـــهُ خالـــكِ بالموافقـــة، يكفـــي مـــا ضـــيّعتِ مـــن فـــرص، لـــن أســـمح لـــكِ بـــأن تعيشي هكذا دون زواج.

خرجـــت وتركـــت مريميّـــة خلفهـــا تبكـــي وتنتحب.

الفصل الثاني

ليست كلُّ الجروحِ خُلقت لتندمل، فبعضها يظلُّ غائرًا، ينزف بصمتٍ كلما مسّهُ عابرٌ بكلمة، أو نبشتهُ الذكرى بمخالبها. لطالما آمنت مريميّة أنَّ هناك بونًا شاسعًا وفرقًا لا تُدركه الأبصار بين الخوف والجبن؛ فالجبان هو من يهرب من معركته قبل أن تبدأ، أما الشجاع فقد يحمل في صدره خوفًا يضيقُ بهِ اتساع الأرض بما فيها، لكنَّهُ يقفُ صامدًا رغم ارتجاف روحه.

مريميّة، تلك الشابة العشرينية التي تفيضُ أنوثةً وجمالًا، كانت تخوضُ معركتها الخاصة ضدَّ أشباح الماضي. فما إن تتردد كلمة "زواج" على مسامعها، حتّى يفرَّ جمالها نادبًا حظه، ويستيقظ في أعماقها ذلك الخوف القديم الكامن كجمرةٍ تحت الرماد. في تلك اللحظة، تختفي الشابة

القويـــة، وتبـــرزُ مـــن خلـــفِ ملامحهـــا طفلـــةٌ صـــغيرةٌ مـــذعورة، مـــا زالـــت تقـــفُ فـــي زاويـــة الغرفـــة القديمـــة، تحـــاولُ بجســـدها الهزيـــل أن تـــدرأ الضـــربات عـــن أُمّهـــا، فـــلا تنـــالُ ســـوى صـــفعاتِ العجـــز، وجـــروحِ الســـبِّ التـــي غرســـتها أنيابُ الكلمات في قلبها الغضّ.

لـــم يكـــن رفضـــها لفهـــد مجـــرد عنـــادٍ أو دلالٍ، بـــل كـــان صـــرخةً لتلـــك الطفلـــة التـــي لـــم تُشـــفَ بعـــد، والتـــي تـــرى فـــي كـــلِّ يـــدٍ تمتـــدُّ لتُلبســـها خـــاتم الزفـــاف، يـــدًا أخـــرى قـــد تمتـــدُّ يومًـــا لتغتـــالَ كرامتها، تمامًا كما رأت ذات يوم.

وافـــقَ الجميـــع علـــى زواج مريميّـــة مـــن فهـــد غيـــر آبهـــين بـــرفض مريميّـــة، حاولـــت معهـــم كثيـــرًا لكـــن دون جـــدوى، استســـلمت ظاهريًـــا لرغبتهم لكنَّ داخلها يأبى الخضوع.

مـرّت الأيَّـام واقتـرب موعـد الزفـاف، كُـلّ شـيءٍ جـاهز للاحتفـال بزفـاف أجمـل عـروس كمـا يقـول فهـد، كُـلّ شـيءٍ يصـدح بالألحـان فرحًـا لقدوم الفرح لبيت مريميّة.

طرقت الباب ودلفت.

ميـرا حبيبـة أُمّهـا، هـل قُمـتِ بفـتح الحقائـب ومـن ثَـمَّ مُعاينـة الهـدايا التـي جلبهـا لـكِ فهـد من بلاد الحرمين؟

تفضـلي بفعـل مـا يحلـو لـكِ أُمّـي، أمَّـا أنـا فـلا حاجةَ لي بالهدايا.

نودا بعدما اقتربت منها: ولِمَ يا ابنتي؟

وأيـمُ اللهِ إنَّ فهـدًا يبـذل قصـارى جهـده فقـط لإسـعادكِ، كمـا أنَّـهُ لا يُريـدكِ عنـوةً، هـو يُريـدكِ وأنتِ راغبة بهِ كما يرغب هو بكِ.

نظرت إليها مريميّة ولم ترد.

أخــذت نــودا تــتفحص الهــدايا والحقائــب، وكلمــا فتحت حقيبة جديدة رجت البيت بالزغاريد.

الفصل الثالث

فـــي بعـــض المعـــارك، يكـــون الصـــمتُ استســـلامًا ظاهريًـــا لا يخـــدعُ ســـوى مَـــن يرتضـــيه، أمَّـــا الـــداخل فكـــان يغلـــي كمرجـــلٍ يـــأبى الخضـــوُع. هكـــذا كانـــت مريميّـــة؛ جســـدٌ ســـاكنٌ أمـــام رغبـــتهم، وروحٌ تـــئنُّ تحـــت وطـــأةِ قـــرارٍ لـــم تشـــارك فـــي صـــياغته. ظلـــت تبكـــي وتنتحـــبُ حتـــى جفّـــت فـــي مآقيهـــا الـــدموع، وشـــعرت بإرهـــاقٍ يـــنهشُ قواهـــا، كـــأنَّ جـــبلًا مـــن الهمـــوم قد جثم فوق صدرها الصغير.

وفـــي عتمـــةِ ذلـــك الإنهـــاك، بزغـــت صـــورةُ الجـــدّة فـــي مخيلتهـــا كمنـــارةٍ وســـط الضـــباب، وتـــرددت فـــي أذنيهـــا كلمـــات الحلـــم: "فـــي قبـــو منزلـــي القـــديم، ســـتجدينَ مصـــباحًا عتيقًـــا، كـــانَ نـــوارًا فـــي الماضـــي، حـــزن ففقـــد شـــغفه ولـــم يعـــد يعمـــل! إن اســـتطعتِ أن تُعيـــدي للمصـــباح شـــغفه ستحصـــلينَ علـــى مطلبـــكِ وتبلغـــين

مُـــرادكِ". لـــم تكـــن تلـــك مجـــرد ذكـــرى، بـــل أصبحت في تلك اللحظة طوق نجاةٍ وحيد.

بفعـــلِ انـــدفاعٍ مفـــاجئ، وقـــرارٍ وُلـــد مـــن رحـــم اليـــأس، لملمـــت مريميّـــة شـــتات نفســـها وقـــررت الهـــرب. لـــم تكـــن تهـــربُ مـــن أمهـــا أو مـــن فهـــد، بـــل كانـــت تهـــربُ نحـــو خلاصـــها. اتجهـــت إلـــى بيـــت جـــدتها المهجـــور، ذلـــك المكـــان الـــذي تفـــوحُ منـــه رائحـــة الطفولـــة والأمـــان المفقـــود. وصـــلت والأنفـــاسُ تتســـارع فـــي صـــدرها، وبخطـــواتٍ مضـــطربة صـــعدت الـــدرجات نحـــو القبو المظلم.

كـــانَ الهـــواء هنـــاك ثقـــيلًا بغبـــار الســـنين، والظـــلام يلـــفُّ الزوايـــا، لكنهـــا أخـــذت تبحـــث بلهفـــةٍ منقطعـــة النظيـــر، تـــزيحُ العناكـــب وتمســـحُ غبـــار النســـيان عـــن الرفـــوف، علّهـــا تجـــدُ

ضـــالتها فـــي ذلـــك المصـــباح العتيـــق، لعلّـــهُ يُنيـــر لها دربًا لم تعرفهُ قدماها من قبل.

فتحـــــت القبـــــو ودلفـــــت، أشـــــعلت الضـــــوء وشرعت في البحثِ عن النجاة.

مكتبـــةٌ عتيقـــة تســـتند علـــى الحـــائط الثالـــث للقبـــو، وكأنَّهـــا قـــد فقـــدت شـــغفها هـــي الأُخـــرى وأُهدرت طاقتها!

اقتربـــت منهـــا مريميّـــة وأخـــذت تمســـح عنهـــا الغبـــار حتّـــى عـــاد إليهـــا رونقهـــا مـــن جديـــد، ابتســـمت لهـــا وكأنَّهـــا تـــرى بســـمتها ثُـــمَّ مـــدّت يـــدها وأمســـكت بإحـــدى محتوياتهـــا، كتـــابٌ قـــيّم مُعنون بالدليل الأيقوني للعصر المريومي!

فرحـــت بـــهِ مريميّـــة كثيـــرًا وأخـــذت تتصـــفحهُ فـــإذ بـــأولى صـــفحاته مكتـــوب فيهـــا.. بســـمِ اللهِ هـــادي المـــؤمنين إلـــى طريقـــهِ المســـتقيم، ثُـــمَّ الصـــلاةُ على خير خلقه، حبيبه وخاتم رُسله.

أمَّا بعد؛

فهـــذه الصـــفحات المحبـــورات بنـــور الحكمـــة، تأخـــذ بيـــدِ صـــاحبها بعيـــدًا عـــن الظُلمـــة، وصاحبها مَن وجدها فقرأها وعمل بها.

لا خيـرَ فـيمَن عـاشَ لنفسـه، لكـنَّ الخيـرَ فـيمَن عـاشَ لنفسـهِ ولغيـرهِ، فعمـل لآخرتـه قبـلَ أنْ تحلّ آخرته.

هـذا الكنـز الثمـين الـذي بـينَ يـديك الآن، هـو الـدليل الأيقـوني لمَـن أعيـاهُ زمانـه فتمنّـى الولـوج للعصـر المريـومي، ذلـكَ العصـر الجميـل، القـيّم النبيـل، ذي العـادات الحميـدة والوجوه السعيدة.

مَـن دلفـهُ كـانَ آمنًـا، يحلـم بـهِ كُـلّ جميـل، ذلـك العصـر المريـومي.. هيـا بنـا لنغـوص فـي أعمـاق الزمـان، أعِـد للمصـباح شـغفه وسَـمِّ بالرحمن.

الفصل الرابع

لـيس كُـلُّ انطفـاءٍ يمـرُّ بنـا هـو محـضُ لا مبـالاةٍ أو استسـلام، فربمـا يكـون المنطفـئُ روحًـا تكدسـت فوقهـا أتربـة الخيبـات، روحًـا لـم تعـد بحاجـةٍ لشـيءٍ سـوى ليـدٍ حانيـةٍ تُـزيحُ عنهـا غبـار السـنين ليلمـع معـدنها الأصـيلُ مـن جديد.

بـين جنبـات القبـو السـاكن، وفـي زاويـةٍ منسـية، عثـرت مريميّـة علـى ضـالتها؛ صـندوقٌ عتيـقٌ تفـوح منـه رائحـةُ الزمـان. مـا إن رفعـت غطـاءه حتّـى امتزجـت فـي صـدرها مشـاعرُ متناقضـة، فـاهتز كيانهـا بـين فـرحٍ وحـزن؛ فرحـت لأنهـا وجـدت أخيـرًا مفتـاح نجاتهـا، وحزنـت لأنَّ للنجـاةِ ثمنًـا مـرًّا يُـدعى "الفـراق". انفجـرت باكيـةً بشـجنٍ يعتصـر فؤادهـا، وانتحبـت بصـوتٍ خافـتٍ يمـلأ المكـان

وحشـــةً، ثُـــمَّ مـــدّت يـــدها المرتجفـــة لتُخـــرج المصباح.

نظـــرت إليـــهِ بـــتمعُّن، كـــان باهتًـــا، مطفـــأً كـــأنَّ الـــروح فارقتـــه، فأخـــذت تمســـحُ عنـــهُ التـــرابَ بكســـرةِ قلبهـــا قبـــل يـــدها، ثُـــمَّ قربتـــه مـــن صـــدرها بحنـــوٍّ كأنهـــا تحتضـــنُ طفـــلًا غريبًـــا. وفـــي لحظـــةٍ تجلّـــت فيهـــا كـــلُّ آلامهـــا، شـــقت فســـتان زفافهـــا الأبـــيض -ذلـــك القيـــد الـــذي يخنُقهـــا- وقربـــت المصباح أكثر من قلبها العاري من الزيف.

فـــي تلـــك اللحظـــة الإعجازيـــة، حـــدث مـــا لـــم تكـــن لتتخيلـــه عـــين؛ انبعـــث مـــن بـــين ضـــلوعها نـــورٌ أبـــيضٌ مهيـــب، نـــورٌ نقـــيٌّ يُشـــبهُ جـــوهر روحهـــا التـــي لـــم تتلـــوث بـــالظلم، وأخـــذ ذلـــك الضـــياءُ ينســـالُ برفـــقٍ ليـــدخل فـــي جـــوف المصـــباح. وفجـــأة، عـــاد المصـــباح "نـــوارًا" كمـــا كـــان فـــي غـــابر الزمـــان، وتـــوهج ببريـــقٍ أخـــاذٍ بـــدّد عتمـــة

القبـــو، بـــل وأنـــار كُـــلَّ زاويـــةٍ مُظلمـــةٍ فـــي ذاكرتهـــا، مُعلنًـــا أنَّ الشـــغف لا يمـــوت.. بـــل ينتظرُ فقط مَن يستحقه.

يا إلهي!

أحقًا ما ترى عيني؟

قد تحققَ الحُلم يا جدّتي.

ولكـــن، أيـــنَ هـــو مفتـــاح الوصـــول للعصـــر المريومي؟

الفصل الخامس

فكـــرت لـــبعض الوقـــت، وأخـــذت تبحـــث فـــي أركـــان القبـــو لكنَّهـــا لـــم تجـــده، عـــادت مـــن جديـــد للـــدليل الأيقـــوني، فتحتـــه وتصـــفحته فوجـــدت بهِ ما تبحث عنه.

إلـــى مَـــن وُلِـــدَتْ لعصـــرٍ لا تنتمـــي إليـــهِ روحهـــا، الحييّـــة الطيـــب جمالهـــا، البريئـــة الراضـــية بقـــدر ربهـــا، الطـــاهرة نفســـها، مَـــن شـــاخَ عقلهـــا، إذا رأيتها حسبتها طفلة في مهدها.

أمَّـــا قبـــلُ فقـــد ضـــاقت بـــكِ الـــدنيا، فزهـــدتِ فيهـــا وهـــي الفانيـــة، حتّـــى اشـــتد عليـــكِ الكـــرب وبحثـــتِ لـــكِ عـــن درب.. فكـــانَ القبـــو والمصباح.

أمَّـــا بعـــدُ فـــلا أحـــزنَ اللهُ لـــكِ قلبًـــا ولا أدمـــع لـــكِ عينًـــا، كـــوني علـــى يقـــين بـــأنَّ الله هـــادي المؤمنين.

أزيحي الستار عن الحائط، وأدخلي المصباح في جوف الحائط، سيتحقق مطلبكِ فورًا، دونَ أن تُصدري أمرًا.. فقط رددي كلمة السرّ؛ ليزول المُرّ ويَمرّ.. حافظ على جمال القلب، ولا تبخل بل حاول إضاءة العالم بالحُبّ.

ما أن رددتها ووضعت المصباح في جوفِ الحائط حتّى اهتزَّ القبوُ اهتزازةً خفيفة، وبدأ المصباحُ يدورُ حول نفسه بسرعةٍ مذهلة، مطلقًا خيوطًا من النور الأبيض التفّت حول جسد مريميّة كشرنقةٍ من ضياء. شعرت بجسدها يرتفعُ عن الأرض، وبأنَّ جدران القبو بدأت تتلاشى لتتحول إلى غيماتٍ عطرية.

لم يعد هناك غبار، ولا صراخ، ولا قيود. تفتحت أمام عينيها بوابةٌ عظيمةٌ شُيّدَت من

ياسـمينٍ ومرمـر، وعلـى أعتابهـا وقـفَ حـارسٌ بملامـحَ مألوفـة يرتـدي ثوبًـا مـن نـور، انحنـى لهـا وقـال بوقـار: "مرحبًـا بـكِ يـا ابنـة الـروح فـي مملكتـكِ، لقـد انتظـر المصـباحُ طـويلًا ليُعيدكِ إلى ديارِكِ".

خطـت مريميّـة خطوتهـا الأولـى، فلامسـت قـدماها أرضًـا مـن عشـبٍ مخملـي، وشـعرت بـأنَّ جرحهـا القـديم قـد التـأم تمامًـا، وكـأنَّ تلـك الطفلـة التـي كانـت تـدرأ عـن أُمّهـا الضـربات فـي ركـن الغرفـة، قـد كبـرت الآن لتصـبح ملكـةً في "العصر المريومي".

الفصل السادس

لـــم تكـــن الخُطـــوة الأولـــى مجـــرد انتقـــالٍ فـــي المكـــان، بـــل كانـــت عبـــورًا مـــن ضـــيقِ الـــنَّفس إلـــى ســـعةِ الـــروح، ومـــن عتمـــةِ الخـــوف إلـــى رحابـــةِ الأمـــان. مـــا إن اســـتقرت قـــدما مريميّـــة علـــى ذلـــك العشـــب المخملـــي، حتّـــى شـــعرت بـــأنَّ الأرض تحتهـــا تنـــبضُ بالحيـــاة، كأنهـــا تُرحـــبُ بعودةِ ابنةٍ غابت طويلًا عن ديارها.

كـــان "العصـــر المريـــومي" لوحـــةً صـــاغتها يـــدُ القـــدر مـــن أنقـــى الألـــوان وأطهـــر المشـــاعر؛ هـــواءٌ ينســـالُ فـــي الـــرئتين كشـــهدٍ بـــارد، يزفـــرُ معـــهُ المـــرء كُـــلَّ مـــا تكـــدّس فـــي صـــدرهِ مـــن ضـــيق. الســـماءُ هنـــاك ليســـت كســـمائنا، بـــل هـــي أديـــمٌ مـــن اليـــاقوت الأزرق، تســـبحُ فيـــهِ ســـحبٌ بيضـــاء تبـــدو كقطـــعٍ مـــن القطـــنِ المغـــزول بنـــور الشمس.

نظـــرت مريميّـــة حولهـــا، فـــإذا بـــالنوافير التـــي رأتهـــا فـــي حلمهـــا القـــديم تتوســـطُ ســـاحاتٍ شاســـعة مـــن المرمـــر الأبـــيض، مياهُهـــا ليســـت مجـــرد مـــاء، بـــل هـــي لآلـــئُ ســـائلة تترقـــرقُ بألحـــانٍ لـــم تســـمع لهـــا الآذانُ مثـــيلًا. أمَّـــا الـــورد الأحمـــر، فقـــد كـــان يفـــرضُ هيبتـــهُ فـــي كـــلِّ زاويـــة، يفـــوحُ بعطـــرٍ يـــداوي النـــدوب، وكـــأنَّ كـــلَّ بتلةٍ فيه قد خُلقت لتمسحَ دمعةً قديمة.

لـــم يكـــن هنـــاك ضـــجيجٌ يـــؤذي المســـامع، بـــل همـــسٌ نـــاعمٌ للأشـــجار، وزقزقـــةُ عصـــافيرٍ تزهـــو بألوانهـــا الزاهيـــة، ترفـــرفُ فـــوق رؤوس المـــارّة الـــذين تلمحهـــم مريميّـــة مـــن بعيـــد بوجـــوهٍ باســـمة، وجبـــاهٍ لا تعـــرفُ التجعـــد أو الهـــمّ. كُـــلُّ شـــيءٍ هنـــا ينطـــقُ بالقيمـــة، وكـــلُّ ركـــنٍ يفـــيضُ بالجمـــال، وكـــأنَّ الزمـــان قـــد توقـــف عنـــد

لحظـــةِ الروعـــة القصـــوى، ليُســـمّى "العصـــر المريومي".

التفتـــت مريميّـــة بـــذهولٍ نحـــو الحـــارس الـــذي مـــا زال يرمقهـــا بنظرتـــهِ المألوفـــة، وتســـاءلت فـــي ســـرها: أهـــذا هـــو المكـــانُ الـــذي ضـــاعت ملامحـــهُ منـــي فـــي زحـــام الأيَّـــام؟ أم أنَّـــهُ العـــالمُ الذي بنيتهُ بدموعي فاستجابَ اللَّهُ لي؟

الفصل السابع

وقفت مريميّة أمامَ الحارس، والدهشةُ ترتسمُ على وجهها الذي يُشبهُ بياضَ الثلج في ليلةٍ صافية، يُزينهُ شعرٌ فاحمٌ كليلٍ كالحرير لا ينتهي، انهمر على كتفيها ليؤطر ملامحها الرقيقة. كانت شابتنا رشيقة القوام، متناسقة الهيئة بدلالٍ فطري، تمتاز بقامة رقيقة ناعمة، كأنها غصن ياسمين لم ينحنِ إلا لنسيم الدلال، لكن حضورها كان يملأ المدى. وما إن اقترب منها الحارس، حتى تلاقت أعينهما، فظهرت لمعةُ عينيها البنيتين الساحرة؛ تلك اللمعة التي تملكُ قدرةً عجيبة على احتواء كل من يتعمق بالنظر إليها، وكأنها مرفأ آمن للأرواح التائهة.

كانتْ شامةٌ رقيقةٌ ناعمة تعلو شفتها، وأخرى تتوسط ذقنها الصغير، تمنحان

وجهها مسحةً من الجمال الفريد الذي لا يُنسى، جمالًا يُنبئ بأنَّ وراء هذهِ الهيئة الرقيقة روحًا وقلبًا يفيضان بالنقاء.

لم تكن مريميّة في حاجةٍ إلى دليلٍ ليرشدها إلى قصر "الجليلة"، فقد كان القصرُ يطلُّ عليها كأنَّهُ قطعةٌ من فجرٍ دائم. لم يُبنَ القصرُ من الحجارة الصماء، بل بدا وكأنَّهُ نُحت من جبلٍ من "المرمر الشفاف" الذي يتغير لونهُ مع نبضات ضوء السماء؛ فتارةً يميلُ إلى زرقةِ الياقوت، وتارةً يتوهجُ ببريقِ اللؤلؤ المكنون.

كانت البوابةُ الكبرى مزيجًا مذهلًا من خشب "السنديان المُعطر" المحفور بماء الذهب، يُحيط بها لبلابٌ من الياسمين الأبيض الذي لا يذبل، يتدلى منهُ قطراتُ ندىً تلمعُ كالألماس. وما إن خطت مريميّة داخل

الردهة الكبرى، حتّى استقبلتها "أعمدةٌ من البلور" تلتفُّ حولها سيقانُ وردٍ أحمر، تخرجُ منهُ رائحةٌ تُعيدُ الروح إلى شبابها، وكأنَّ المكان بأسرهِ يتنفسُ معها.

كانت الأرضيةُ عبارة عن مساحاتٍ من "الفسيفساء المسحورة"، إذا مشت عليها مريميّة ظهرت تحت أقدامها ظلالُ زهورٍ تتفتحُ مع كل خطوة، تتبعها أصواتُ خريرِ مياهٍ تنسالُ في قنواتٍ من الفضة الخالصة لتصبَّ في نوافير تخرجُ منها ألحانٌ هامسة، كأنها تحيةٌ خفية من القصر لملكتهِ المنتظرة.

في نهاية الردهة، كان ينتصبُ "عرشُ الجليلة"؛ ليس كرسيًا، بل هو هودجٌ من النور المسكوب، يُحيطُ بهِ ستائرُ من الحرير "المريومي" الرقيق، خلفها تظهرُ ملامح

الجليلة التي بدت كأنها الحكمةُ في أبهى صورها. كُلُّ زاويةٍ في القصر كانت تنطقُ بالقيمة، فلا يوجدُ ركنٌ إلا وفيه "دليلٌ أيقوني" موضوعٌ على منصاتٍ من الأبنوس، وكأنَّ هذا القصر ليس مجرد مسكن، بل هو "خزانةُ التاريخ" التي انتظرت لقرونٍ من يفكُّ رموزها.. ليأتي مَن يملكُ القلب النقي ليحلَّ اللغزَ العظيم.

سيّدتي الجليلة قد أتت ابنة الشتاء، بيضاء الثلج.

أهي الحوراء يا ناريس؟

هي سيّدتي.

وكيف عرفتِ أنَّها هي؟

من صفاتها التي ذكرها الحكيم أثير سيّدتي.

هلّا ذكرتني بها؟

بكُلِّ سرورٍ سيّدتي.

كان يا ما كان..

في سالف الزمان، تمّ العثور على مطويّة الحكيم أثير، ذو الرأي الرشيد والعقل الكبير، فكانت النبوءة العظيمة مُنذُ قرونٍ قديمة، أنَّهُ في يومٍ من الأيَّام ستتملك الجليلة الزمام، وستتحقق النبوءة بقدومِ الملكة لوسين ابنة نواريا.

الفصل الثامن

مـــا إن انتهـــت نـــاريس مـــن تـــلاوة كلمـــات النبـوءة، حتـى دبـت فـي أرجـاء القصـر حيـاةٌ لـم يعهـــدها الزمـــانُ مـــن قبـــل؛ فجـــأةً، تراقصـــت الأضـــواءُ علـــى جـــدران البلـــور، وانبعـــثَ مـــن النـــوافير عطـــرٌ مـــن الياســـمين المعتـــق غمـــر المكـــان بالبهجـــة. انزاحـــت ســـتائرُ الحريـــر "المريـــومي" بـــبطءٍ مهيـــب، لتكشـــف عـــن وجـــه "الجليلـــة" التـــي مـــا إن وقـــع بصـــرها علـــى مريميّـــة، حتـــى أشـــرقت ملامحهـــا بفرحـــةٍ غـــامرة، وكأنهـــا الشـــمسُ حـــين تعـــانقُ الأرض بعد شتاءٍ طويل.

قامـــت الجليلـــةُ مـــن هودجهـــا النـــوراني بخفـــةٍ مذهلـــة، وتقـــدمت نحـــو مريميّـــة والـــدموعُ تترقـــرقُ فـــي عينيهـــا مـــن شـــدةِ الغبطـــة، وقالـــت بصـــوتٍ يرتجـــفُ حنانًـــا: "لقـــد صـــدقت الرؤيـــا، وعـــاد الحـــقُّ لأصـــحابهِ يـــا ابنـــة الـــروح". فـــي

تلـــك اللحظـــة، اهتـــز القصـــرُ اهتـــزازةً رقيقـــة، لـــيس خوفًـــا بـــل طربًـــا، وتفتحـــت زهـــورُ الســـنديان فـــي الزوايـــا، وكـــأنَّ الجـــدران الصـــماء تشاركُ سيدتها هذا العيد.

وســـط هـــذا الفيضـــان مـــن المشـــاعر، وقفـــت مريميّـــة مشـــدوهة، تشـــعرُ بـــأنَّ قلبهـــا يكـــادُ يقفـــزُ مـــن بـــين أضـــلعها. وبينمـــا كانـــت تجيـــلُ بصـــرها فـــي أرجـــاء القاعـــة الكبـــرى، تســـمرت قـــدماها وتعلقـــت عيناهـــا بمركـــز القاعـــة تمامًـــا؛ ففـــي منتصـــف الســـقف المقـــوس، كـــان هنـــاك "موزاييـــك" مـــذهل، نُقشـــت فيـــه صـــورةٌ محفورةٌ بدقةٍ إلهية.

لـــم تكـــن الصـــورة لغريبـــة، بـــل كانـــت مريميّـــة هـــي نفســـها؛ بـــذاتِ بيـــاضِ الـــثلج الـــذي يكســـو وجههـــا، وبـــذاتِ اللمعـــة الســـاحرة فـــي عينيهـــا البُنيّتـــين، حتّـــى الشـــامة الرقيقـــة الناعمـــة التـــي

تعلـــو شـــفتها، وتلـــك التـــي تتوســـط ذقنهـــا الصـــغير، كانـــت مرســـومةً ببـــتلات الـــورد الأحمـــر. شـــعرت مريميّـــة برعشـــةٍ تســـري فـــي جســـدها الرشـــيد، وتســـاءلت بـــذهول: كيـــف لملامحـــي أن تُحفـــظ هنـــا منـــذُ قـــرون؟ وكيـــف لهـــذا العـــالم أن يعـــرف تفاصـــيل وجهـــي قبـــل أن أخطو فيه خطوةً واحدة؟

ابتســـمت الجليلـــةُ وهـــي تـــرى انـــدهاش مريميّـــة، ثـــم اقتربـــت منهـــا لتمســـح بيـــديها النـــاعمتين علـــى شـــعرها الفـــاحم، هامســـةً: لا تتعجبـــي يـــا لوســـين، فالجمـــالُ الحقيقـــي لا يغيـــب، هـــو فقـــط ينتظرُ الوقت المناسب ليعود إلى عرشه.

تنفسّـــت مريميّـــة بعمـــق، وكأنهـــا تستنشـــقُ عبـــق التـــاريخ المخبـــوء فـــي أركـــان القاعـــة، ثـــم همســـت بصـــوتٍ يمـــلأهُ الـــذهول: ســـيدتي.. كيـــف؟ صـــورتي، شـــاماتي، حتـــى هـــذه اللمعـــة

فـــي عينـــي.. كُـــلُّ شـــيءٍ محفـــورٌ هنـــا وكأنَّـــهُ نُقـــش بـــالأمس! هـــل أنـــا فـــي حلـــمٍ طويـــل، أم أنني كنتُ هنا يومًا ونسيت؟

ضـــحكت الجليلـــة ضـــحكةً تشـــبه رنـــين الأجـــراس الفضـــية، وأمســـكت بيـــد مريميّـــة الرقيقـــة، لتقودهـــا نحـــو لوحـــة الفسيفســـاء فـــي منتصـــف القاعـــة، وقالـــت بصـــوتٍ هـــادئ: الحلـــمُ يـــا ابنتـــي هـــو مـــا كنـــتِ تعيشـــينهُ خلـــف جـــدران ذلـــك القبـــو، أمَّـــا هنـــا.. فهـــذا هـــو الواقـــعُ الوحيـــد. هـــذهِ اللوحـــة لـــم تُرسَـــم بريشـــة، بـــل نُقشـــت بانتظارنـــا لـــكِ. فـــي العصـــر المريـــومي، لا يضـــيعُ جمـــالٌ صـــانهُ صـــاحبه بالصـــبر، ولا تختفـــي ملامـــحُ مَن آمن بالحُبّ في زمن القسوة.

توقفـــت الجليلـــة أمـــام صـــورتها المحفـــورة، وأشـــارت إلـــى الشـــامة التـــي تتوســـط ذقـــن مريميّـــة الصـــغير وقالـــت: لقـــد حفـــظ الحكـــيم أثيـــر

تفاصيلكِ في مطوياته، وأخبرنا أنَّ الملكة التي ستُعيد للورد لونه لا بد أن تحمل علامات الطهر على وجهها. كنتِ تُسمَّين هناك (مريميّة) لأنكِ ولدتِ في شتاء القلوب، لكنكِ هنا (لوسين)؛ أي النور الذي ينبثقُ من رحم الظلام.

سألت مريميّة والدموعُ تلمع في عينيها البنيتين الساحرتين: ولماذا أنا؟ كنتُ هناك أدرأُ عن أُمّي الصالحة جلبهار الضربات وأختبئ في ركن الغرفة.. كيف لهذهِ الصغيرة أن تكون ملكة في هذا القصر المنيف؟

اقتربت الجليلة منها أكثر، واحتضنت وجهها بيديها وقالت بيقين: لأنَّ مَن تدرأُ الضربات عن غيرها وهي تتألم، تملكُ قلبًا أقوى من قلاع المرمر. ولأنَّ رشاقتكِ

ودلالكِ لم يكن مجرد جمالٍ جسدي، بل كان صمودًا للروح أمام القُبح. لقد جئتِ إلى هنا ليس لأنكِ هربتِ، بل لأنكِ استحققتِ العبور. هذا القصر، وهذهِ الرعية، وكل هذهِ الأنوار.. كلها كانت تنتظرُ دقاتِ قلبكِ لتعمل من جديد.

في تلك اللحظة، انحنى كلُّ مَن في القاعة، من حراسٍ وخادمات، ورددوا بصوتٍ واحدٍ هزَّ أركان القصر: مرحى بالملكة لوسين.. مرحى بزهرة نواريا التي لا تذبل.

لوسين!

نطقتها مريميّة باندهاش.

الجليلة مُبتسمة: أجل يا ابنة نواريا.

مريميّة بذهول: ابنة نواريا!

الجليلة بعدما ربتت على كتفيها بحنان: سأُخبركِ بكُلّ شيء ولكن هيّا بنا الآن.

مريميّة متسائلة: إلى أين؟

الجليلـــة ببســـمةٍ صـــافية: إلـــى غرفتـــكِ الخاصّـــة لترتاحي بعض الوقت.

الفصل التاسع

فتحت الجليلة بابًا من خشب الصندل المُرصع بالزمرد، لتجد مريميّة نفسها أمام عالمٍ من السكينة صُمم خصيصًا لأجلها. لم تكن مجرد غرفة، بل كانت "ملاذًا من الضوء".

كان السريرُ يتوسط الغرفة كأنَّهُ غيمةٌ هبطت من سماء العصر المريومي، مغطىً بحرير "لوسين" الذي يتغير لونهُ مع نبضات قلب مَن ينام عليه. أمَّا الجدران، فقد كانت من المرمر الوردي الشاحب، تنبثقُ منها إضاءةٌ خافتة تشبه ضوء الشموع ولكن دون نار.

على جانب الغرفة، وُجدت شرفةٌ واسعة تطلُّ على غابات "نواريا"، حيثُ يمتزجُ عطر الورد الأحمر بهسيس الأشجار. وفي

الـــركن الآخـــر، كانـــت هنـــاك "مـــرآةُ الحقيقـــة"؛ مـــرآةٌ بإطـــارٍ ذهبـــي لا تعكـــس الملامـــح فحســـب، بـــل تعكـــس نقـــاء الـــروح، وتُظهـــر مريميّـــة كمـــا يراهـــا أهـــل هـــذا العـــالم: ملكـــةً متوجـــةً بالصـــبر، رشـــيقةً كغـــزالٍ بـــري، يفـــيضُ وجهُهـــا بجمـــالٍ لا ينطفئ.

وعلـــى منضـــدةٍ مـــن العـــاج، وُجـــد ثـــوبٌ ملكـــي أبـــيض مرصـــعٌ بـــاللآلئ، وبجانبـــهِ رســـالةٌ مغلقة بختم الحكيم أثير..

ســـاد صـــمتٌ مهيـــب فـــي الغرفـــة، لـــم يقطعـــهُ إلا حفيـــف الأشـــجار المريوميـــة فـــي الخـــارج. كانـــت كلمـــات الجليلـــة عـــن "دمـــاء نواريـــا" تتـــردد فـــي أذنـــي مريميّـــة كتراتيـــل قديمـــة، لكـــنَّ غصـــةً مريـــرة وقفـــت فـــي حلقهـــا، غصـــة منعـــت عنهـــا لذة الشعور بالملك.

التفتت مريميّة نحو الجليلة، وعيناها البُنيتان تغرقان في بحرٍ من الدموع المحبوسة، وقالت بصوتٍ متهدج: سيدتي.. إن كنتُ ابنة نواريا، وإن كان هذا القصر هو قدري.. فما بالُ (جلبهار)؟ تلك الأم الصالحة التي تركتُها هناك تصارع وحشًا في هيئة رجل؟

هنا، انهار السدُّ الذي بنتهُ مريميّة لسنوات؛ عادت بها الذاكرة كشريطٍ أسود محترق إلى تلك الليلة وهي ابنة الرابعة عشر ربيعًا. رأت نفسها طفلةً، تقف بجسدها الغضّ الذي لم يشتد عوده أمام والدها، تدرأ بيديها الصغيرتين الضربات المنهمرة على جسد أمها الضعيف. تذكرت كيف كان "أبوها" - بكل ما تحمله الكلمة من قسوة في قاموسها- يزرع في قلبها خوفًا أكبر من

عمرها، خوفًا جعلها تشيخ وهي في غضارة العمر. تذكرت بكاءها الصامت، ودموعها التي كانت تحفر مجاري في خدها بياض الثلج، وهي تتلقى الطعنات المعنوية نظير دفاعها عن أمها، دون أن تجرؤ حتّى على الصراخ.

شهقت مريميّة بمرارة، واحتضنت ذراعيها كأنها تحمي نفسها من تلك الذكرى، وقالت: لقد جنى عليّ يا سيدتي.. سلبني طفولتي قبل أن تبدأ، وزرع في قلبي رعبًا جعلني أرتجف. كيف أستمتع بهذا الحرير وأُمّي هناك تُسلب حقوقها ويُداس على كرامتها؟

اقتربت الجليلة منها بوقار، ومسحت ببرود أناملها على وجنة مريميّة المتوهجة من الانفعال، وقالت بصوتٍ صارمٍ وحنون في آنٍ واحد: اسمعي يا لوسين، واعلمي أنَّ

مـــوازين العصـــر المريـــومي لا تُشـــبه مـــوازين عـــالمكم المظلـــم. فـــي بلادنـــا، يُعتبـــرُ الأبنـــاء والأزواج (أمانـــةً إلهيـــة) لا ملكيـــةً خاصـــة. العصـــر المريـــومي مســـؤولٌ عـــن كـــل نفـــسٍ تنتمـــي إليـــه، ولـــو حـــدث أنَّ أحـــدًا ســـلب حـــق إنســـانٍ أو عاملـــهُ معاملـــةً غيـــر آدميـــة، فـــإنَّ العقوبة لا تتأخر.

برقـــت عينـــا الجليلـــة بقـــوة وهـــي تتـــابع: فـــي قـــانون نواريـــا، مَـــن يـــزرع الخـــوف فـــي قلـــب طفـــل، أو يمـــدُّ يـــده بظلـــمٍ علـــى امـــرأة، يُعاقـــب عقوبـــةً مغلظـــة؛ يُســـلب منـــهُ نـــور بصـــيرته، ويُنفـــى إلـــى (وادي الصـــمت) حيـــثُ لا يســـمع إلا صـــدى صـــراخ مـــن ظلمهـــم، حتّـــى تأكـــل الندامـــة قلبـــه. نحـــن لا نتـــركُ أولادنـــا للضـــياع، وجلبهـــار بصلاحها وطهرها، هي جزءٌ من هذا النور.

هنـــا، ســـقطت مريميّـــة علـــى ركبتيهـــا أمـــام الجليلـــة، وأمســـكت بطـــرف ثوبهـــا بتوســـل: إذًا أدركيهـــا يـــا ســـيدتي! خـــذيها مـــن ذاك الجحـــيم. لقـــد عاشـــت عمرهـــا تـــداري قبحـــه بصـــبرها، وتحمـــي دلالـــي بـــدموعها. إن كـــان لـــي حـــقٌّ فـــي هذا الملك، فأنا أتنازل عنه مقابل أمانها.

ابتســـمت الجليلـــة، ورفعـــت وجـــه مريميّـــة لتواجـــه "مـــرآة الحقيقـــة"، وقالـــت: انظـــري لملامحـــكِ يـــا ابنتـــي.. هـــل تظنـــين أنَّ مَـــن خلـــق هـــذا الجمـــال بلمعـــة عينيـــكِ وشـــاماتكِ ســـيتركُ أصـــل الجمـــال يضـــيع؟ لقـــد بـــدأ العـــدُّ التنـــازلي لظالمهـــا، ونواريـــا لا تســـتعيدُ ملكاتهـــا إلا وتســـتعيدُ معهـــنَّ كـــل مَـــن زرع فـــي قلـــوبهنَّ بـــذرة خيـــر. جلبهـــار ســـتأتي، لـــيس كخادمـــةٍ للقـــدر، بـــل كجليلـــةٍ مريوميـــة ذاقـــت بـــرد اليقـــين بعد نار الصبر.

الفصل العاشر

بعد أن غادرت الجليلة الغرفة، تاركةً خلفها عبيرًا من الطمأنينة، اتجهت مريميّة نحو بابٍ جانبي نُقش عليه زهور اللوتس، لتجد نفسها في "الحمام الملكي" للعصر المريومي، وهو مكانٌ لم ترهُ حتّى في أكثر خيالاتها جموحًا.

كان الحمامُ عبارة عن قاعةٍ فسيحة مسقوفة بقبة من البلور، تسمح بمرور ضياء السماء الياقوتي ليتحول إلى خيوطٍ ذهبية تراقصت فوق سطح الماء. في المنتصف، استقرَّ حوضٌ واسعٌ منحوتٌ من قطعة واحدة من "الكوارتز الوردي"، تنبثقُ من أطرافه رؤوسُ طيورٍ فضية تفيضُ بماءٍ دافئ فواح.

مـــا إن غمســـت مريميّـــة جســـدها الغـــضَّ فـــي المـــاء، حتّـــى شـــعرت برعشـــةٍ مـــن الراحـــة تغلغلـــت فـــي مســـامها؛ فالمـــاء لـــم يكـــن عاديًـــا، بـــل كـــان ممزوجًـــا بـــ "رحيـــق نواريـــا" وزيـــوتٍ عطريـــة نـــادرة تطفـــو فوقهـــا بـــتلاتُ الـــورد الأحمـــر. شـــعرت مريميّـــة وكـــأنَّ كـــلَّ ضـــربةٍ قديمـــة ســـكنت جســـدها، وكـــلَّ خـــوفٍ تعتـــق فـــي روحهـــا، بـــدأ يـــذوبُ ويتلاشـــى مـــع بخـــار المـــاء المتصـــاعد. غســـلت شـــعرها الفـــاحم بمـــاءٍ كأنـــه اللؤلـــؤ الســـائل، حتّـــى عـــاد لـــهُ بريقـــه الـــذي انطفأ في عالم الشتاء.

خرجـــت مريميّـــة وهـــي تشـــعرُ بخفـــةٍ غريبـــة، وكأنهـــا تخلصـــت مـــن ثقـــلِ جبـــالٍ كانـــت تحملهـــا علـــى كتفيهـــا. ارتـــدت ثوبهـــا الحريـــري الرقيـــق، وتوجهـــت بخطـــىً دلاليـــة نحـــو المنضـــدة

العاجيــة، حيــث كانــت تنتظرهــا "رســالة الحكــيم أثير" (مطويّة النور).

كانــت الرســالةُ مكتوبــةً علــى ورقٍ مــن "ألياف النــور" التــي تضــيء كلمــا لمســتها يــدُ صــاحب الحــق، ومربوطــة بخــيطٍ مــن ذهــب نقــي. فضــت مريميّــة الخــتم، فانتشــرت فــي الغرفــة رائحــةُ ورقٍ قــديمٍ وعزيــز، وبــدأت الكلمــات تظهــر أمــام عينيهــا البُنيّتــين الســاحرتين وكأنهــا تُكتب الآن:

إلــى ابنــة الشــتاء التــي أشــرقت فــي بســتاننا..

إلــى الملكــة لوســين، صــاحبةِ القلــب الــذي لــم ينكسر.

يــا ابنتــي الغاليــة، أعلــمُ أنــكِ الآن تتســاءلين: لمــاذا أنــا؟ ولمــاذا الآن؟ واعلمــي أنَّ القَــدَر لا يختــارُ مــن فــراغ، بــل يختــارُ القلــوب التــي صُــقلت فــي أتــون الصــبر حتّــى أصــبحت

كالمـــاس. لقـــد تتبعـــتُ أثـــركِ فـــي مطويـــاتي منـــذُ أن كنـــتِ طفلـــةً تـــذودُ عـــن أمهـــا بـــدموعها، ورأيـــتُ فيـــكِ (لمعـــة النواريـــا) التـــي لا تظهـــرُ إلا في سلالة الملكات الحقيقيات.

فـــي هـــذهِ الرســـالة، أودعُـــكِ أســـرار ملكـــكِ الجديد:

أولًا: اعلمـــي أنَّ قصـــركِ هـــذا يتـــنفسُ بنبضـــكِ؛ فـــإذا فرحـــتِ أزهـــرت جدرانـــه، وإذا حزنـــتِ ســـكنت نـــوافيره. أنـــتِ لســـتِ مجـــرد حاكمـــة، بـــل أنتِ روحُ هذا المكان.

ثانيًـــا: عـــن ســـرِّ شـــاماتكِ الرقيقـــة؛ فهـــي ليســـت مجـــرد علامـــات جمـــال، بـــل هـــي (مفـــاتيحُ البصـــيرة) التـــي وضـــعها الخـــالق علـــى وجهـــكِ لتعرفـــي بهـــا الصـــادق مـــن الكـــاذب بمجـــرد النظر.

ثالثًا: بخصوص (جلبهار)، فقد أعددنا لها مكانًا في بستان الروح، وسيكون لقاؤكما حين يكتملُ قمر العصر المريومي في سماء نواريا، فاستعدي، لأنَّ بركات نواريا ستمسحُ عن وجهها شقاء السنين.

رابعًا: احذري من "وادي الصمت" خلف حدود القصر، فهو المكان الذي يُنفى إليهِ كل مَن استباح حرمة الضعفاء، وهناك يُعاقب مَن زرع في قلبكِ الخوف أول مرة، فلا تشغلي قلبكِ بالانتقام، فالعدالةُ المريومية قد بدأت عملها بالفعل.

يا لوسين.. يا قطعةً من الدلال والجمال، انعمي براحتكِ الآن، فغدًا تبدأُ رحلةُ استعادة الألوان للورد الذي ذبل في غيابكِ. نحنُ لم نكن ننتظرُ ملكةً قوية بالسيف، بل كنا ننتظرُ ملكةً قوية بالرحمة.. وقد أتيتِ.

المخلص دومًا،

الحكيم أثير.

سقطت الرسالة من يد مريميّة وهي تشعرُ برعشةِ يقينٍ لم تعرفها من قبل. لم تعد "الصغيرة" الخائفة، بل شعرت بأنَّ كيانها بالكامل يتمدد ليملأ جنبات هذا القصر العظيم.

الفصل الحادي عشر

استسلمت مريميّة لسلطان النوم فوق سريرها الحريري، لكنَّ روحها لم تنم؛ بل انطلقت في رحلةٍ عبر أثيرِ العصور. وجدت نفسها في قلب "نواريا"، لكنها لم تكن نواريا التي رأتها مع الجليلة، بل كانت غابةً من الورد الأحمر العملاق الذي بدأت أوراقه تهمسُ باسمها: "لوسين.. لوسين..". كان الوردُ يتحدثُ بلغةٍ تفهمها الروح، يواسيها عن جرحٍ لم يندمل بعد.

فجأةً، انشقت الأرضُ تحت أقدامها، وظهرت لها سيدةٌ بملامح ملكية مهيبة، تشعُّ نورًا، اقتربت منها ومسحت على رأسها بحنان وقالت: أنا جذوركِ يا لوسين، أنا جدّتكِ التي زرعت فيكِ بذرة النجاة.. لا تخافي من الأشباح التي ستمرُّ الآن، فهي مجرد احتراقٍ لبقايا الظلام قبل بزوغ الفجر.

وفجأة، تبدل المشهد.. وجدت مريميّة نفسها طفلةً في الرابعة عشرة، في ذلك الركن الضيق من بيتها القديم. رأت جسدها الغضَّ وهو يلقي بنفسه فوق أمها "جلبهار"، متلقيةً ضرباتٍ قاسية من يدِ رجلٍ كان يُفترض أن يكون أمانها. سمعت صوته وهو يغتالها معنويًا، يكيل لها من السب والشتم ما لا يطيقه عقل طفلة، كلماتٌ كالسمِّ كانت تنهشُ كرامتها قبل جسدها.

وفي مفارقةٍ عجيبة، رأت صورة والدها وهو يخرج من باب البيت، يرتدي ثوبَ التقوى، يرسمُ على وجهه ابتسامة الملاك، يتوجه للمسجد ليصلي بخشوعٍ أمام الناس، بينما خلف الأبواب المغلقة هو شيطانٌ رجيم، سبابٌ لعان، لا يرقبُ في طفلتهِ ولا زوجتهِ إلاً ولا ذمة.

ثُـــمَّ انتقـــل بهـــا الحلـــمُ إلـــى مجلـــسِ أقربائهـــا؛ رأتهـــم وهـــم يجلســـون كالوســـطاء فـــي ســـوقِ النخاســـة، يتـــودد إلـــيهم النـــاس طمعًـــا فـــي القـــرب مـــن مريميّـــة. رأتهـــم وهـــم يســـاومون ويسمســـرون عليهـــا، هـــذا يعـــرضُ مبلغًـــا وذاك يَعِـــدُ بعطايـــا، وفـــي "بيعهـــا" تنـــافس المتنافســـون، وكأنهـــا قطعـــةُ أرضٍ أو بضـــاعةٌ تُبـــاع لمَـــن يـــدفع أكثـــر، دون أدنـــى اعتبـــار لروحهـــا الرقيقـــة التـــي كانـــت تـــذبلُ بصـــمتٍ خلف الجدران.

بكـــت مريميّـــة فـــي حلمهـــا بكـــاءً هـــزَّ أركـــان القصـــر المريـــومي، شـــعرت بـــأنَّ الخـــوف القـــديم يحـــاول خنقهـــا مـــرةً أخـــرى، ولكـــن.. قبـــل أن تصرخ من شدة الألم، انقشع الظلامُ فجأة.

وجـــدت نفســـها تقـــفُ وســـط ممـــرٍّ مـــن النـــور، وفـــي نهايـــة الممـــر، رأت طفـــلًا صـــغيرًا،

ملامحـــهُ تشـــبه ملامحهـــا، يحمـــلُ فـــي يـــده "مفتاحًـــا مـــن الزمـــرد" ووردةً حمـــراء لـــم تـــرَ بجمالهـــا قـــط. اقتـــرب الطفـــلُ منهـــا، وقبّـــل يـــدها وقـــال بصـــوتٍ ســـماوي: كفـــى بكـــاءً يـــا ملكتـــي.. انظـــري خلفـــكِ، فقـــد انتهـــى زمـــنُ الشـــتاء إلـــى الأبـــد، واليـــوم تبـــدأُ المعجـــزة التـــي لا تتكـــرر إلا مرة واحدة كل ألف عام.

التفتت مريميّة لتجد أمامها...

لتجد المفاجأة التي شلت حركتها..

خلـــف الضـــباب، بـــدأت تظهـــرُ ملامـــحُ ســـيدةٍ شـــابة، كانـــت تفـــيضُ جمـــالًا ودلالاً ورقـــة، ترتـــدي ثوبًـــا مريوميًـــا مرصـــعًا باليـــاقوت. لـــم تكـــن ســـيدةً غريبـــة، بـــل كانـــت "جلبهـــار"! لكنهـــا ليســـت جلبهـــار المنكســـرة الباكيـــة، بـــل هـــي فـــي ريعـــان شـــبابها، بيـــاضُ بشـــرتها

يتـــوهج، وعيناهـــا تضـــحكان بـــلا خـــوف، وكـــأنَّ سنوات الظلم لم تمرَّ عليها قط.

ركضـــــت مريميّـــــة نحوهـــــا وهـــــي تصـــــرخُ باســـــمها، وفـــــي تلـــــك اللحظـــــة.. اســـــتيقظت مريميّـــة مـــن نومهـــا، لتجـــد الغرفـــة مغمـــورةً بنـــورٍ وردي، والجليلـــة تقـــفُ عنـــد رأســـها مبتســـمة وهـــي تقـــول: لقـــد رأيـــتِ الحقيقـــة يـــا لوســـين.. اســـتعدي، فالمفاجـــأة لـــم تكـــن حلمًـــا فحسب.

الفصل الثاني عشر

لم تكن مريميّة قد استوعبت بعد أنَّ جفونها قد انفتحت على أرض الواقع، فصورةُ أمها "جلبهار" في حلمها كانت من الشدة والوضوح بحيث خُيل إليها أنَّ رائحة عطرها لا تزال عالقة في ثنايا الغرفة. التفتت مريميّة نحو الجليلة التي كانت تقف بهيبةٍ تملأ المكان، وقالت بصوتٍ يرتجف: سيدتي.. رأيتُ طفلًا، ورأيتُ أُمّي.. لم تكن أُمّي التي تركتُها خلفي بملامحها التي أكلها الهمّ، بل كانت عروسًا من نور. هل كان مجرد حلمٍ ليواسيني العصر المريومي؟

ابتسمت الجليلة، وأمسكت بيد مريميّة لتقودها نحو الشرفة الكبيرة التي تطلُّ على حدائق القصر، وقالت بصوتٍ واثق: في نواريا يا لوسين، الأحلام هي الرسائل التي تسبقُ الحقائق. والطفلُ الذي رأيتِه هو

(روحُ الزمـــان المريـــومي)، جـــاء ليخبـــركِ أنَّ العقـــود قـــد فُكـــت، وأنَّ الأمانـــات قـــد رُدت إلـــى أهلها. انظري هناك..

نظـــرت مريميّـــة حيـــثُ أشـــارت الجليلـــة، فكـــادت أنفاســـها أن تتوقـــف. عنـــد نـــافورة البلـــور الكبـــرى، كانـــت تقـــفُ ســـيدةٌ تفـــيضُ رقـــةً ودلالًا، ترتـــدي ثوبًـــا مـــن الشـــيفون المريـــومي بلـــون الزهـــر، وشـــعرُها ينســـدلُ كشـــلالٍ مـــن الحريـــر فـــوق كتفيهـــا. التفتـــت الســـيدة بـــبطء، ومـــا إن تلاقـــت العيـــون، حتّـــى صـــرخت مريميّـــة صـــرخةً هزت أركان القصر: "أُمّي!".

ركضـــت مريميّـــة بخفتهـــا المعهـــودة، وجســـدها الرشـــيق يكـــاد يطيـــرُ فـــوق بســـاط العشـــب، حتّـــى ارتمـــت فـــي أحضـــان تلـــك الســـيدة. كـــان عناقًـــا اختصـــر ســـنوات الوجـــع، وضـــربات الأب، وسمســـرة الأقـــارب. كانـــت رائحتهـــا هـــي ذاتهـــا

رائحة "جلبهار"، لكنَّ جسدها لم يعد يرتجفُ خوفًا.

ابتعدت مريميّة قليلًا لتمسح دموعها وتتأمل وجه أمها بذهول: أُمّي.. كيف؟ أنتِ تبدين في العشرين من عمركِ! أين ذهبت تجاعيد الحزن؟ أين أثر الليالي التي قضيتِها باكية في ركن الغرفة؟

وضعت جلبهار يدها على شامة مريميّة الرقيقة وقالت بصوتٍ عذبٍ صَفَا من كل كدر: يا ابنة روحي، حينَ استدعاني العصر المريومي، غسلتني أنوارُ نواريا من كلِّ بؤسٍ علق بي في عالم البشر. هنا يا مريميّة، لا يشيخُ إلا القبح، أمَّا النفوس الصالحة فتعودُ لربيعها الأول. لقد استرددتُ شبابي الذي اغتالهُ والدكِ، واستردتُ

كرامتي التي أهدرها. أنا هنا الآن لأراكِ وأنتِ تُتوجين ملكة.

في تلك اللحظة، ظهر الطفلُ صاحب "المفتاح الزمردي" مرة أخرى، يمشي بينهما بوقارٍ ملكي. تقدم نحو مريميّة وقال: يا ملكة لوسين، هذا المفتاح الذي رأيتِه في حلمكِ، هو الآن بين يديكِ. هو مفتاحُ (سجن الذاكرة). بلمسةٍ منه، ستمسحين من ذاكرة أُمّكِ كل لحظة ألم سببتها يدُ والدكِ، وستجعلينها تعيشُ في نواريا وكأنَّ الحزن لم يطرق بابها قط.

نظرت مريميّة إلى الطفل بامتنانٍ لا يوصف، ثُمَّ سألت الجليلة: وماذا عن ذاك الشيطان الذي كان يصلي في المسجد نفاقًا ويضربنا في البيت غدرًا؟ هل سيظلُّ ينعمُ بحياته هناك؟

تغيــــرت نبـــرة الجليلـــــة إلـــى الصـــــرامة المريوميـــة: لقــد حُكــم عليــه يــا لوســين بــــ (عقوبــة التلاشـــي المعنــوي). فــي اللحظــة التــي دخلــت فيهــا جلبهــار حــدود نواريــا، سُــلب منــهُ كـــل شـــيء؛ صـــورتهُ الملاكيــــة أمـــام النـــاس تمزقـــــت، وبــــات الجميــــعُ يـــرى حقيقتــــه الشــيطانية. هــو الآن يعــيشُ فــي عــالم البشــر منبـــوذًا، لا تقبـــل لـــه صـــلاةٌ ولا تُســـمع لـــه دعــوة، وسيقضـــي مـــا تبقـــى مـــن عمـــره يـــرى ملامحـــكِ وملامـــح جلبهــــار فـــي كـــل زاويـــة، يطـــارده صــــراخكما الـــذي حـــاول كتمـــه، حتّـــى يــذوب جســدهُ كمــدًا. أمَّــا أقاربــكِ، فقــد سُــدت فــي وجـــوههم أبـــواب الـــرزق، وبـــاتوا يتســـولون القـــرب مـــن النـــاس الـــذين كـــانوا يســـاومونهم عليكِ، فلا يجدون إلا الصدَّ والهوان.

احتضـــــنت مريميّـــــة أمهـــــا جلبهـــــار بقـــــوة، وشـــــعرت لأول مـــــرة فـــــي حياتهـــــا بـــــ (الأمـــــان الكامـــــل). لـــــم تعـــــد الطفلـــــة ذات الأربعـــــة عشـــــر عامًـــــا التـــــي تـــــدرأ الضـــــربات، بـــــل أصـــــبحت الملكـــــة التي تملكُ مفاتيح السعادة لأغلى ما تملك.

التفتـــــت جلبهـــــار نحـــــو ابنتهـــــا بابتســـــامةٍ ســـــاحرة وقالـــــت: هيـــــا يـــــا لوســـــين، فـــــالحكيم أثيـــــر ينتظرنـــــا فـــــي قاعـــــة العـــــرش، ليُخبرنـــــا عـــــن الخطـــــوة القادمـــــة فـــــي تطهيـــــر الـــــورد الأحمـــــر.. ولتكتشـــــفي سرَّ الطفل الذي يحملُ ملامحكِ.

الفصل الثالث عشر

لم تكن نواريا تحتفلُ بعودة ملكتها فحسب، بل كانت تعيشُ عيدًا لم يمرَّ بمثلهِ الزمان. نُصبت في ساحات القصر الخارجية طاولاتٌ من خشب الساج، غُطيت بمفارش من الكتان الأبيض المطرز بخيوط الحرير الوردي، واصطفت مئاتُ الشموع العطرية التي تنشرُ رائحة القرفة والعود. لكنَّ الاحتفال الحقيقي كان داخل "ردهة الطعام الملكية"، حيثُ أُعدت لمريميّة (لوسين) مائدةٌ خُصصت لتضمَّ كل ما تُفضلهُ من طعامٍ وشراب.

توسطت القاعة مائدةٌ دائرية من الرخام الأسود المُرصع بالصدف، تزدحمُ بأطباقٍ ذهبية تنبعثُ منها أبخرةٌ تحملُ حكايات الدفء والبهجة.

لحمُ الماعز الشهي: في قدرٍ فخاريٍ عظيم، استقرَّ لحمُ الماعز المريومي، المطهوُّ ببطءٍ شديد حتّى أصبح "زُبدةً" تذوبُ في الفم. نُقع اللحمُ أولًا في مزيجٍ من خل العنب والبهارات السبعة، ثُمَّ شُوح بالسمن البلدي مع فصوص الثوم والمستكة، وأُضيف إليهِ البصل المكرمل الذي أضفى حلاوةً لا تُقاوم.

طاجنُ الباميةِ باللحم: تراقصت حبات الباميةِ الصغيرة الخضراء في صلصة طماطم كثيفة، عُقدت بـ "طشة" الثوم والكزبرة الجافة، وتخللتها قطعُ لحم البقر الملبسّة التي امتصت حموضة الطماطم وجمال النكهة.

الملوخيةِ المريوميةِ: سُكبت في سلطانياتٍ صغيرة، خضراء زاهية بـ "عرقٍ" مثالي، تفوحُ منها رائحة "الطشة" التي هزت

أرجـــاء القصـــر، وبجانبهـــا أطبـــاق "الأرز بالشـــعيرية"؛ كـــل حبـــة أرز تلمـــعُ بفضـــل السمن الأصيل، مفلفلةً ومثالية.

المشـــاوي والمقـــبلات: اصـــطفت ســـياخُ "الكفتـــة البقـــري" المتبلـــة بالبقـــدونس والبصـــل المبشـــور والمشـــوية علـــى فحـــم الســـنديان، وبجانبهـــا "الـــدجاج المشـــوي" الـــذهبي بخلطـــة الزعتـــر والليمـــون. ولـــم تكتمـــل المائـــدة إلا بـــ "ســـلطة الطحينـــة" البيضـــاء الناعمـــة، والزيتـــون "الكالاماتـــا" المخلـــل الـــذي يلمـــعُ بزيـــت الزيتـــون البكـــر، مـــع طبـــق "الفاصـــوليا البيضاء" المطبوخة في مرق الدجاج الغني.

بجانـــب الطعـــام، كانـــت هنـــاك منصـــةٌ منفصـــلة للحلويـــات التـــي أعـــدها طهـــاة القصـــر بلمســـةٍ سحرية:

البسبوسة بالقشطة: قُطعت مربعاتٍ متساوية، مرملةً ودايبة بالسمن البلدي، تكسوها طبقةٌ سميكة من القشطة الطازجة وقطراتٍ من "الشربات" الخفيف المعطر بماء الزهر.

الأرز باللبن: وُضع في أوانٍ فخارية صغيرة، مُزينًا بتلالٍ من المكسرات المحمصة والزبيب، مع وجهٍ مُحمرٍ تحت لهب الفرن.

كيكة البرتقال: كانت هشةً كالسحاب، مسقيةً بعسل النحل الصافي الذي امتزج بمرارة قشر البرتقال الخفيفة، لتعطي توازنًا مذهلًا.

المشروبات: زجاجاتٌ من الكريستال تفيضُ بعصائر المانجو والفرولة الطازجة، وشراب "الورد الأحمر" البارد الذي يُنعش الروح.

جلست مريميّة (لوسين) على رأس المائدة، وبجانبها أمها جلبهار التي استعادت نضارتها. كانت عينا مريميّة تلمعان ببهجةٍ طفولية لم يكسرها الزمان؛ نظرت إلى كل هذا الكرم، وتذكرت تلك الأيَّام التي كانت تقتسمُ فيها لقمةً يابسة مع أمها في الخفاء خوفًا من بطش والدها.

ضحكت مريميّة ضحكةً صافية، وامتدت يدها الرقيقة لتأخذ أول لقمة، وشعرت وكأنَّ كُلَّ قضمةٍ تمسحُ غصةً قديمة من حنجرتها. كانت تلتفتُ لناريس وللجليلة وللطفل الصغير وتدعوهم للمشاركة بـ "دلالٍ" ملكي، وهي تقول: اليوم يا أمي، نحنُ لا نأكلُ لنشبع، نحنُ نأكلُ لنحتفل بأننا أحياء، وبأنَّ لنا حقًا في الجمال والنعيم.

كانــت الفرحــةُ فــي قلــب مريميّــة تُشــبهُ فيضــان النيــل؛ تــروي كــل مَــن حولهــا، حتّــى أنَّ جــدران القصــر بــدأت تتــوهجُ بــاللون الــوردي تفــاعلًا مــع ســعادتها، وأخــذت الموســيقى المريوميــة تعــزفُ ألحانًــا تجعــلُ القلــوب تــرقص قبــل الأقدام.

الفصل الرابع عشر

بينما كانت مريميّة تنعمُ بدفء الوليمة، كان هناك ظلٌّ يقفُ عند البوابة الكبرى، جسدٌ قوي الملامح، وعينان تحملان حزنًا لا ينتمي لهذا العالم الوردي. هو "آدم"، الحارس الذي اختارته نواريا ليكون حائط الصد الأول عن ملكتها. لم يولد آدم في قصور المرمر، بل وُلد من رحم المعاناة في حيٍّ شعبي عريق بقلب القاهرة.

بدأ آدم حكايته تحت سماء القاهرة التي كانت آنذاك تتنفسُ بالبساطة والرضا. وُلد في زمن "الخير" الذي لم يكن يُقاس بالمال، بل بدفء النفوس. تذكر آدم طفولته في تلك الحارة التي كانت بيوتها مفتوحة لبعضها البعض؛ حيثُ كان الجارُ أبًا، والجارةُ أُمًّا، وحيث كان "العيش والملح" ميثاقًا غليظًا لا يُخان.

تـــذكر رائحـــة الشـــوارع فـــي الصـــباح، وصـــوت بـــائع العرقســـوس الـــذي يطـــوفُ بالأبـــاريق النحاســـية، وصـــوت المـــذياع الـــذي يصـــدحُ بإذاعـــة القـــرآن الكـــريم مـــن القـــاهرة. كـــان الـــزمنُ بطيئًـــا، جمـــيلًا، وممتلئًـــا بـــالقيم؛ فالكلمـــة كانـــت عهـــدًا، والمـــروءة كانـــت عملـــةً متداولـــة. تربـــى آدم علـــى أنَّ احتـــرام الكبيـــر واجـــب، وأنَّ حمايـــة ابنـــة الجـــار فـــرضٌ، وأنَّ الأمانـــة هـــي رأسُ مـــالِ الرجـــل. كـــان يشـــاهدُ والـــده وهـــو يعـــود بخبـــزٍ ســـاخن وقناعـــةٍ تمـــلأ الكـــون، يشـــاهدُ والدتـــه وهـــي "تـــدبّر" حـــال البيـــت بالرضا والستر.

فـــي ذلـــك الـــزمن، كانـــت العـــادات المصـــرية تتجلـــى فـــي الأعيـــاد وفـــي "لمّـــة" العيلـــة يـــوم الجمعـــة حـــول طبليـــةٍ واحـــدة. كانـــت الأفـــراح تُقـــام فـــي الحـــواري بالزينـــة الورقيـــة الملونـــة،

والجميع يرقصُ بقلبٍ واحد. لم يكن هناك "إنترنت" يعزلُ القلوب، بل كانت الجلسات على المصاطب والقهوة هي "منصة التواصل" الحقيقية، حيثُ تُحلُّ المشاكل بكلمةٍ من كبير الحارة. آدم كبر في هذهِ الأجواء، وتشربت روحه بتلك الشهامة المصرية التي جعلت نواريا تختاره فيما بعد، لأنها كانت تبحثُ عن قلبٍ "أصيل" لم تُفسدهُ المادة.

وقف آدم في العصر المريومي، وهو يسترجع تلك الصور، ثم تنهد بمرارة وهو يتذكر كيف تبدلت الأحوال. سألهُ "الطفل صاحب المفتاح" الذي اقترب منه بهدوء: بماذا تفكر يا آدم؟ ولماذا يثقل صدرك بكل هذا الشجن؟

نظـــر إليـــه آدم وقـــال بصـــوتٍ أجـــش: أفكـــر فـــي زمـــنٍ رحـــل ولـــم يعـــد، يـــا صـــغيري. ولـــدتُ فـــي العـــام الـــذي كـــان فيـــه الخيـــرُ وفيـــرًا والقلـــوبُ بيضـــاء، لكننـــي انتهيـــتُ فـــي عـــام 2026 غريبًـــا فـــي بـــلادي. كنـــتُ أظـــن أننـــي ســـأكبر لأبنـــي بيتًـــا كبيـــت والـــدي، فـــإذا بـــي أجـــدُ نفســـي فـــي عـــالمٍ ينهشُ فيهِ الغلاءُ القلوبَ قبل الجيوب.

تـــابع آدم والحـــوارُ يـــزداد عمقًـــا: أنـــا مـــن جيـــلٍ رأى التحـــول المرعـــب.. رأينـــا كيـــف صـــمتت الضـــحكات، وكيـــف أصـــبح الهـــمُّ رفيقًـــا يوميًـــا فـــي كـــل بيـــت مصـــري. جئـــتُ مـــن عـــامٍ أصـــبحت فيـــهِ لقمـــة العـــيش معركـــة، والأخـــلاقُ عملـــةً نـــادرة، والســـلبياتُ تمـــلأ الطرقـــات كالـــدخان الخـــانق. نواريـــا لـــم تـــأتِ بـــي لأحـــرس مريميّـــة فقـــط، بـــل أتـــت بـــي لأنـــي كنـــتُ أبحـــث عـــن

(آدميتـــي) التـــي ضـــاعت وســـط همـــوم الفقـــر والديون وغلاء الأسعار الذي لا يرحم.

ربـت الطفـلُ علـى يـد آدم وقـال: لهـذا أنـت هنـا. نواريـــا تجمـــعُ شـــتات الأرواح التـــي كســـرها عـــالم البشـــر. مريميّـــة كانـــت بحاجـــة لقلـــبٍ يعـرفُ قيمـــة الرقـــة، وأنـــت كنـــت بحاجـــةٍ لعـــالمٍ يُقدّر معنى الشهامة.

الفصل الخامس عشر

بدأ الخناقُ يضيقُ علينا يا صغيري، مُنذُ ذلك العام الذي توقف فيه العالم.. عام كورونا. ظننا أنها سحابةُ صيفٍ وستمر، لكنها كانت البداية لنهايةِ الاستقرار الذي عرفناه. بدأت الوجوهُ تتواري خلف الكمامات، وبدأت القلوبُ تتباعد خلف الجدران. خسرنا أحبةً، وخسرنا الطمأنينة، وبدأ عصرُ العزلة.

واستطرد آدم بوصفٍ مؤلم: وبعدها.. جاءت سنواتُ الغلاء الفاحش. هل تتخيل يا صغيري عالمًا ينام فيه الأبُ وهو يحسبُ تكلفة إفطار صغاره في الغد؟ جئتُ من عام 2026، حيثُ أصبحت الأسعارُ وحشًا يطاردنا في كل مكان. رأيتُ البيوتَ وهي تُغلقُ أبوابها من الخجل، ورأيتُ الشبابَ وهم يفقدون الأمل في الزواج أو بناء حياةٍ

كريمة. السلبياتُ انتشرت كالنار في الهشيم؛ ضاعت المروءةُ وسط الزحام، وأصبح الكلُّ يركضُ خلف لقمةٍ مغمسة بالذل.

كنتُ أقفُ في طوابير الانتظار، وأنا أحملُ في صدري قيم جيل الطيبين، فكنتُ أشعر كأني غريبٌ من كوكبٍ آخر. الناسُ في عام 2026 يتحدثون لغةً لا أفهمها، لغة المادة والسرعة واللامبالاة. وفي ليلةٍ شديدة السواد، حينَ بلغت الهمومُ ذروتها، وأحسستُ أنَّ كرامتي ستُهدر تحت أقدام الفقر.. انفتحت لي بوابةُ نواريا. نادتني الجليلة بصوتها الذي يشبهُ صوتَ أمي، وقالت لي: تعال يا آدم، ففي نواريا مكانٌ لمَن صان أمانة الروح في زمن الضياع.

عاد آدم للحاضر المريومي، ونظر إلى مريميّة وهي تضحكُ مع أمها جلبهار،

فابتسم لأول مرة مُنذُ عقود. قبض على سيفه بقوة، وقال لنفسه: سأحرسُ هذا الجمال بروحي، لأني أعرفُ جيدًا بشاعة العالم الذي هربتُ منه. لن يلمس الشقاء مريميّة ما دام في عروقي دمٌ من ذلك الزمن الجميل.

الفصل السادس عشر

بعد انتهاء الوليمة الأسطورية، خرجت مريميّة لتستنشق نسيم "نواريا" العليل الذي يفوح برائحة المسك النديّ. وعند حدود الشرفة الملكية المطلة على غابات الورد، وجدت "آدم" واقفًا كالجبل الصامد، يراقب الأفق بعينين يملؤهما شجن القاهرة القديمة. اقتربت منهُ مريميّة برشاقتها ودلالها الفطري، وشعرت بأنَّ هذا الحارس ليس مجرد سيفٍ يحميها، بل هو روحٌ تحمل أثقالًا تُشبه أثقالها.

قالت مريميّة بصوتٍ يقطر حنانًا: يا آدم، أرى في عينيك غبارًا من زمنٍ بعيد، وحزنًا لا تمحوه أنوار القصر. لقد حكت لي الجليلة عن دارك التي جئت منها، وعن ضياع القيم في عامك الذي يُسمّى 2026.

التفت آدم إليها، وانحنى باحترامٍ ملكي وقال بصوتٍ أجش: يا مولاتي، جئتُ من عالمٍ أصبح فيهِ الغلاءُ وحشًا، والفقرُ سجنًا، والناسُ فيهِ يهرولون خلف المادة كالمجاذيب. جئتُ وفي صدري نوستالجيّا لزمن الطيبين، حيثُ كانت مصر طيبة، وحيث كانت الشهامةُ سقفًا يحمينا جميعًا. فكيف لي ألا أحزن وقد رأيتُ القبح يلتهم الجمال؟

ابتسمت مريميّة ابتسامةً صافية، وجلست على مقعدٍ مرمرِيّ، وأشارت له بالجلوس ليبدأ الحوار المطول الذي كشف خبايا النفوس. قالت له: اسمع يا آدم.. المعاناة التي عشتها، والفقر الذي رأيته، والغلاء الذي طحن القلوب، كل هذا أجرهُ محفوظٌ عند مَن لا تضيع عنده الودائع. الدنيا يا آدم

مـــا هـــي إلا قنطـــرة، طريـــقٌ ضـــيق نعبـــرُ منـــهُ للـــدار الآخـــرة، والمـــؤمنُ فيهـــا كالمســـافر الـــذي يستظل بشجرة ثُمَّ يمضي.

تابعـــت مريميّـــة وعيناهـــا تلمعـــان بيقـــينٍ أذهـــل آدم: لقـــد تعلمـــتُ فـــي قبـــوي المظلـــم أنَّ الله إذا أحـــب عبـــدًا ابـــتلاه، ليميـــزه ويصـــقله كمـــا يُصـــقل الـــذهب بالنـــار. لقـــد أحبنـــي ربـــي فـــابتلاني بـــذاك الأب وتلـــك القســـوة، وأحـــب أمـــي جلبهـــار مـــن قبلـــي فابتلاهـــا بـــذاك الظلـــم، فاختارهـــا دونًـــا عـــن غيرهـــا لتكـــون رمـــزًا للصـــبر. أمـــي الصـــالحة أحبـــت ربهـــا فصـــبرت، وأنـــا فعلـــتُ كـــذاك، فكـــان الجـــزاءُ أنَّ نواريـــا فتحـــت لنـــا أبوابهـــا لنـــرى العوض رأي العين.

هنـــا ســـكتت مريميّـــة قلـــيلًا، وغامـــت عيناهـــا بـــذكرياتٍ أليمـــة، ثُـــمَّ تابعـــت بصـــوتٍ متهـــدج: لقـــد ذقـــتُ مـــرارة الظلـــم ممـــن يُفتـــرض أنهـــم

دمـــي ولحمـــي. تعلمـــتُ أنَّ لـــيس كـــل قريـــبٍ قريبًـــا، ولـــيس كـــل غريـــبٍ غريبًـــا. القريـــبُ الحقيقـــي يـــا آدم هـــو (قريـــبُ الـــروح) الـــذي يشـــعر بوجعـــك دون أن تـــتكلم، أمـــا ذوو القربـــى فقـــد كـــانوا لـــي غصّـــة فـــي الحلـــق. هـــل تعلـــم أنَّ أعمـــامي وعمـــاتي كـــانوا يحـــاولون إخضـــاعي بشـــتى الطـــرق؟ حـــاولوا كســـري، وإذلالـــي، ومحـــو شخصـــيتي، بـــل وتجـــرأوا علـــى محاولـــة تزويجـــي لمـــن يـــدفع أكثـــر، وكـــأني غـــزالٌ يُعـــرض فـــي ســـوق! كـــانوا يـــرون فـــي ملامحـــي وبيـــاض وجهـــي مجـــرد (ثمـــن) لجيـــوبهم، لا نفسًا لها حق الاختيار.

انقبضـــت يـــد آدم علـــى قبضـــة ســـيفهِ بعنـــف، وبرقـــت عينـــاه بغضـــب الشـــهامة المصـــري الأصـــيل، لكـــن مريميّـــة هـــدأت روعـــه بلمحـــةٍ مـــن يـــدها وقالـــت: لا تبتـــئس، فقـــد أبـــدلني الله

بأهـلٍ خيـرٍ مـن ذوي قربتـي. أبـدلني بالجليلـة، وبـك يـا آدم، وبنواريـا التـي احتضـنتني. لقـد فُكـت الأواصـر التـي كانـت تربطنـي بـالظلم، وبقيـت الأواصـر التـي تربطنـي بنـور الله. الابـتلاء يـا آدم هـو (شـهادة اختيـار) مـن الله، ليرى مَن منا سيصبر حتّى ينال مقام الرضا.

نظـر آدم إليهـا بـذهول، وشـعر بـأنَّ هـذهِ الشـابة الرقيقـة تحمـل حكمـةً تنـوء بهـا الجبـال، وقـال: يـا مـولاتي، كنـتُ أظـن أننـي جئـتُ لأحميـكِ بسـيفي، فـإذا بـي أجـد أنَّ كلماتـكِ هـي التـي تحمـي روحـي مـن اليـأس. لقـد ذقـتِ مـن القربـى مـا لـم يـذق أحـد، وصـبرتِ صـبرًا أيوبيًـا، والآن أفهـم لمـاذا اختـاركِ الزمـان لتكوني أنتِ الملكة.

قالـت مريميّـة وهـي تـنهض بهيبـة: يـا آدم، نحـنُ أبنـاءُ (الرضـا). مَـن رضـي فلـهُ الرضـا،

ومَـــن ســـخط فلـــهُ الســـخط. والآن، دع غبـــار عـــام 2026 يرحـــل مـــع الـــريح، واســـتعد معنـــا لنعيـــد للـــورد لونـــه، ولنثبـــت للعـــالم أنَّ الطهـــر دائمًا ينتصر في النهاية.

انحنـــى آدم طـــويلًا، وشـــعر لأول مـــرة مُنـــذُ التمانينـــات أنَّ قلبـــه قـــد عـــاد لبيتـــه الحقيقـــي، وأنَّ غربتـــه قـــد انتهـــت عنـــد قـــدمي ملكـــةٍ ذاقـــت البلاء فاستحقت العطاء.

الفصل السابع عشر

لم تكن شمسُ ذلك اليوم في نواريا كأي شمسٍ مضت؛ فقد بكرت بالظهور وهي تصبغُ السماء بلون "المرمر الوردي"، وكأنَّ الفلك بأسره يتهيأ لمراسم تنصيب الملكة لوسين. نُصبت الأبواقُ الذهبية على شرفات القصر، وانبعثت منها ألحانٌ سماوية لا تعزفها آلاتٌ بشرية، بل كانت ألحانًا تنبعثُ من احتكاكِ أوراق الشجر بالنسيم المريومي المعطر.

احتشدَ أعيانُ العصر المريومي وحكماؤه في "قاعة البلور"، التي رُصفت أرضيتها بطبقةٍ رقيقة من الماء المسحور، يمشي عليه الحاضرون دون أن تبتل أقدامهم، وتظهرُ تحت خطواتهم صورٌ لتاريخ نواريا العريق. في نهاية القاعة، كانت "الجليلة" تقف بهيبةٍ أزلية، ترتدي رداءً من "سديم

النجـــوم"، وبيـــدها صـــولجانٌ مـــن الأبنـــوس يعلوه حجرُ "عين الشمس".

أُفســـح المجـــالُ لـــدخول مريميّـــة (لوســـين). دخلـــت بخطـــواتٍ دلاليـــة رشـــيقة، يزينهـــا ثـــوبٌ ملكـــي نُســـج مـــن "خيـــوط الفجـــر" واللآلـــئ، خلفهـــا كـــان يســـير الحـــارس "آدم" بســـيفهِ اللامـــع، وبجانبهـــا أمهـــا "جلبهـــار" التـــي بـــدت كملكـــةٍ متوجـــةٍ بالوقـــار. مـــا إن رآهـــا الحاضـــرون حتّـــى ســـاد صـــمتٌ يمـــلأه الرهبـــة؛ فملامحهـــا التـــي يشـــوبها بيـــاض الـــثلج، ولمعـــة عينيهـــا البُنيتـــين، والشـــامات التـــي تُـــزين وجههـــا، كانـــت تنطـــقُ بـــأنَّ النبـــوءة قـــد تجســـدت لحمًا ودمًا.

تقـــدمت لوســـين نحـــو المنصـــة، فانحنـــت لهـــا الجليلـــة فـــي مشـــهدٍ مهيـــب، وقالـــت بصـــوتٍ رعـــديٍ نـــاعم: اليـــوم، يـــا ابنـــة نواريـــا، أســـلمكِ

عهـــدة الـــورد وعـــرش الـــروح. لقـــد كنـــتِ مريميّـــة فـــي عـــالم الشـــقاء، واليـــوم أنـــتِ لوســـين فـــي عـــالم النقـــاء. بقلبـــكِ الـــذي لـــم يعـــرف الحقـــد، وبصـــبركِ الـــذي فـــاق الجبـــال، تتقلـــدين مهـــام الحكم لتُعيدي للزمان اتزانه.

وضـــعت الجليلـــة "تـــاج الأثيـــر" فـــوق رأس لوســـين؛ تـــاجٌ لـــم يكـــن مـــن ذهـــب، بـــل كـــان إكلـــيلًا مـــن "الـــورد الأحمـــر الحـــي" الـــذي يتـــنفسُ مـــع نبضـــها، ويشـــعُّ نـــورًا أرجوانيًـــا كلمـــا زاد يقينهـــا. فـــي تلـــك اللحظـــة، اهتـــزت أركـــان القاعـــة بهتـــافٍ واحـــد: مرحـــى للملكـــة لوســـين.. مرحى بحارسة الورد!.

خـــارج أســـوار القصـــر، كانـــت الســـاحات تعـــجُّ بالشـــعب المريـــومي. كـــان الحـــديثُ لا ينقطـــعُ بـــين العامـــة، يصـــفون الفـــارق بـــين مـــا كـــان ومـــا سيكون:

قال شيخٌ مسنٌّ لنفرٍ من الشباب: يا أبنائي، لقد عشنا دهورًا والوردُ في نواريا باهتُ اللون، والينابيعُ تهمسُ بالشكوى لأنَّ العرش كان ينتظرُ صاحبته. قبل قدوم لوسين، كان العصر المريومي يغلفه الانتظار القلق، كانت قوى الظلام في (وادي الصمت) تتجرأ على حدودنا.. أما الآن، فانظروا للورد كيف احمرَّ خجلًا وجمالًا بمجرد أن وطئت قدماها القصر.

وقالت امرأةٌ وهي تمسك بيد طفلتها: سمعتُ أنَّ الملكة لوسين قد ذاقت من الظلم ما لا تطيقه الجبال في عالم البشر، وأنها دافعت عن أمها بجسدها الغض. مثل هذهِ الملكة لا يمكن أن تظلم رعيتها أبدًا. إنها ليست ملكةً بالوراثة، بل هي ملكةٌ بالاستحقاق والرحمة.

بمجـــرد أن تقلـــدت لوســـين الصـــولجان، حـــدثت المعجـــزة الكبـــرى؛ تـــدفقت الـــدماءُ فـــي عـــروق الأشـــجار الذابلـــة، وانفجـــرت قنـــواتُ الفضـــة فـــي القصـــر بميـــاهٍ زلاليـــة تُشـــفي العليـــل. بـــدأت لوســـين أولـــى مهامهـــا بإصـــدار "مرســـوم النـــور"، الـــذي يقضـــي بـــأنَّ كـــل مظلـــومٍ فـــي أي عـــالمٍ كـــان، لـــه حـــقُّ اللجـــوء إلـــى نواريـــا، وأنَّ العدالـــة المريوميـــة ســـتمتدُّ لتطـــال كـــل مَـــن ســـلب حقًا أو آذى نفسًا بغير حق.

التفتـــت لوســـين نحـــو آدم، وقالـــت بصـــوتٍ ملكـــي مســـموع: يـــا آدم، اجعـــل ســـيفك شـــعارًا لكـــل مَـــن يطلـــب الأمـــان، واعلـــم أنَّ حكمنـــا اليـــوم لا يبدأ بالذهب، بل يبدأ بكرامة الإنسان.

انحنـــى آدم بقلبـــهِ قبـــل جســـده، وشـــعر بـــأنَّ قهـــر عـــام 2026 قـــد تلاطـــم تحـــت قـــدمي هـــذا العـــرش، وأنَّ مريميّـــة التـــي كانـــت تختبـــئ فـــي

ركـــن الغرفـــة، قـــد أصـــبحت الآن هـــي الـــركن الذي يأوي إليهِ المظلومون في الأبعاد كلها.

الفصل الثامن عشر

لم يكد يستقر التاجُ فوق رأس الملكة لوسين، حتّى بدأت نواريا تختبرُ بأس ملكتها الجديدة. فبينما كانت السكينةُ تلفُّ القصر، انشقَّ سكونُ الليل عن صرخةٍ رعدية هزت أركان الغابة، وانبعث من جهة "وادي الصمت" ضبابٌ أسود كثيف يزحفُ نحو حدود النور كالأفاعي. كانت تلك أولى مؤامرات قوى الظلام؛ ملوك "الخمال" الذين ظنوا أنَّ الملكة الجديدة، برقتها ودلالها، ستكونُ لقمةً سائغة لأطماعهم.

تسللت كائناتٌ مشوهة، هي أنصافُ بشرٍ ممسوخة بظلمها، وحاولت تدنيس "نبع اليقين" الذي يمدُّ نواريا بالحياة. تقدم "آدم" بسيفه، واستنفر الحراس، لكنَّ لوسين وقفت في شرفة القصر العالية، ولمعت عيناها البنيتان ببريقٍ لم يرهُ أحدٌ

مـــن قبـــل؛ لـــم يكـــن بريـــق دلال، بـــل كـــان بريـــقَ عدالةٍ تحرقُ كل مَن يقترب.

قالـــت لوســـين بصـــوتٍ تـــردد صـــداه فـــي الآفـــاق، صـــوتًا لـــم يعـــرف الرعشـــة: يـــا آدم، كـــفَّ ســـيفك.. اليـــوم لـــيس يـــوم الســـلاح، بـــل يـــومُ الحق الذي يُزهقُ الباطل.

هبطـــت لوســـين مـــن الشـــرفة، لـــيس علـــى الـــدرج، بـــل طـــارت فـــوق بســـاطٍ مـــن بـــتلات الـــورد الأحمـــر التـــي تجمعـــت تحـــت قـــدميها الرشـــيقتين لتصـــنع لهـــا جســـرًا مـــن النـــور. وقفـــت عنـــد حـــدود "وادي الصـــمت" وجهًـــا لوجـــه أمـــام جـــيش الظـــلام وقائـــدهم "عـــازر"، الـــذي ســـخر بضـــحكةٍ خشـــنة: أيتهـــا الصـــغيرة االرقيقـــة، عـــودي إلـــى مرايـــاكِ ودلالـــكِ، فنواريـــا اليوم ستُحكمُ بالقوة لا بالرحمة.

ابتسمت لوسين ابتسامةً باردة، وقبضت بيمينها على صولجان الأبنوس، فجأةً، تحول بياضُ وجهها الذي يشبه الثلج إلى ضياءٍ باهرٍ يعمي الأبصار. ضربت بالصولجان الأرض، فانفجرت تحت أقدام الظالمين ينابيعُ من "نارٍ باردة"؛ نارٌ لا تحرق الجلود، بل تحرقُ الأكاذيب والشرور المخبأة في الصدور.

صرخت لوسين ببأسٍ زلزل الجبال: أنا التي نبتت في شتاءِ الظلم وصمدت! أنا التي دافعت عن الحق بجسدي الغض وهي طفلة! أظننتم أنَّ رقتي ضعف؟ إنَّ مَن صان قلب مريميّة من الحقد وسط النار، قادرٌ على إحراق عروشكم بكلمة حقٍ واحدة!

بإشارةٍ من يدها، التفت جذورُ أشجار السنديان العملاقة حول أرجل المعتدين،

وسحبتهم نحو باطن الأرض. لم تستخدم لوسين السيف، بل استخدمت "سلطان الحقيقة"؛ فبدأت صورُ جرائم هؤلاء الظالمين تظهرُ معلقةً في الهواء كأشرطةٍ من نار، يراها الجميع، ويسمعُ صراخ ضحاياهم. كان بأسها شديدًا، ووجهها الذي كان ينطق بالدلال، أصبح الآن ينطقُ بـ "الجلال" الذي يرتعدُ لهُ الموت.

تقدمت لوسين نحو القائد "عازر" الذي جثا على ركبتيه منهارًا أمام هيبتها، وقالت له: في قانوني، لا نقتلُ الأجساد، بل نمحو الأثر. أنت ومَن معك ستعودون إلى سجن الصمت، لكنكم لن تروُا النور، ولن تسمعوا إلا نداءات ضمائركم المعذبة، حتّى تصبحوا هباءً منثورًا.

وبحركةٍ مهيبة من يدها، انقشع الضبابُ الأسود، وتراجع الظلامُ مهزومًا أمام سطوة الملكة. التفتت لوسين نحو شعبها، وكان آدم ينظرُ إليها بذهولٍ وفخر، فقالت بصوتٍ قاطع: ليعلم كل جبارٍ في هذا الكون، أنَّ العصر المريومي قد وُلدت لهُ مخالبُ من نور. نحنُ نحبُّ الجمال، لكننا نحرسُ كرامة المظلوم بحدِّ الصاعقة.

عادت لوسين إلى القصر، وفي مشيتها كان هناك مزيجٌ مذهل من الأنوثة الطاغية والهيبة الحارقة. دخلت إلى غرفتها، حيثُ كانت تنتظرها أمها جلبهار، فارتمت في حضنها لتعود "ابنة الشتاء" الرقيقة مرة أخرى، لكنَّ العالم بأسره عرف في تلك الليلة أنَّ خلف هذا الوجه الرقيق، تقبعُ ملكةٌ لا تقهر.

الفصل التاسع عشر

لم يكن الخطر هذهِ المرة زحفًا من الخارج، بل كان "سُمًّا" يتسلل في خفاءِ القصر. كان هناك "ناثان"، أحدُ وزراء القصر القدامى، الذي لم يرق لهُ أن تحكمه "ابنة الشتاء" بطهرها. تحالف ناثان مع دجالٍ عظيم من وادي الظلام، وصنعوا "سائل التلاشي"؛ وهو مركبٌ لعين عُقد عليه السحرُ الأسود، ونفث فيهِ السحرةُ سمومهم، وهدفه مسح العصر المريومي من الوجود وتحويله إلى رماد.

بدأت مريميّة (لوسين) تشعرُ بانقباضٍ في صدرها؛ فـ "مفاتيح البصيرة" (شاماتها) بدأت تنبضُ بحرارةٍ غير معهودة. كانت تجلس في شرفتها حينَ اقترب ناثان، يحملُ في يدهِ قارورةً من الكريستال ادعى أنها "عطرُ الخلود" ليهديه للملكة. في تلك

اللحظـــة، شـــعرت لوســـين برعشـــةٍ تســـري فـــي جســـدها الرشـــيد، ورأت بعـــين قلبهـــا هـــالاتٍ سوداء تحيط بكلمات الوزير المُنمقة.

نظـــرت لوســـين فـــي عينـــي ناثـــان، فظهـــرت لهـــا ملامـــحُ الخيانـــة المحفـــورة فـــي ســـواد عينيـــه. صـــمتت بـــدهاءِ الملكـــات، لكنهـــا لمســـت شـــامة ذقنهـــا، فانفتحـــت لهـــا رؤيـــةٌ كاملـــة للـــوزير وهـــو يعقـــدُ صـــفقته مـــع الـــدجال فـــي جـــوف الليـــل. علمـــت أنَّ الســـائل لـــيس عطـــرًا، بـــل هـــو "نهايـــة الزمان" لو لمستهُ جدران القصر.

الفصل العشرون

استمر ناثان في تمثيله، ودعا الملكة لإقامة حفلٍ صغير "لمباركة أركان القصر" بهذا السائل المسحور. كانت المؤامرة تقضي بأن يُرش السائل على أعمدة البلور والفسيفساء المسحورة، لتبدأ عملية "التلاشي" من المركز.

راقبت لوسين تحركات الخائن وهو يوزعُ مسحوقًا رماديًا خفيًا في أركان الردهة، مسحوقًا نُفث فيهِ بكل أنواع الكفر والضلال. كانت تشعرُ بضيقٍ في التنفس، وكأنَّ هواء نواريا بدأ يتسمم، لكنها ظلت صامدة، تنظرُ إلى أمها جلبهار وإلى الحارس آدم، وتغمز لهما بعينيها البنيتين الساحرتين ليكونوا على أهبة الاستعداد.

كانت لوسين تدرك أنَّ هذا السحر لا يُهزم بالسيف، ولا بالصولجان المريومي وحده، بل بـ "القوة" التي استمدتها من ليالي بكائها في القبو وهي تستغيث بخالق الكون.

تركت ناثان يظن أنَّهُ أحكم الحصار، وسمحت لهُ بالبدء في فتح القارورة الملعونة، وفي تلك اللحظة، تغيرت ملامح وجهها من الدلال إلى هيبةٍ تقشعر لها الأبدان.

الفصل الحادي والعشرون

مـــا إن رفـــع ناثـــان يـــده ليصـــب الســـائل علـــى أعمـــدة القصـــر، حتّـــى صـــرخت لوســـين صـــرخةً أوقفـــت الزمـــان: "قـــف مكانـــك يـــا خـــائن العهـــد والـــروح!". تجمـــدت يـــد الـــوزير بفعـــل قـــوة مريوميـــة بـــاهرة، وانفجـــرت ملامـــح وجهـــه رعبًا.

تقـــدمت لوســـين بخطـــواتٍ واثقـــة، لـــم تهتـــز رشـــاقتها رغـــم هـــول الموقـــف. لـــم تمســـك صـــولجانًا، بـــل أخرجـــت "إنـــاءً مـــن الفضـــة الخالصـــة" كانـــت قـــد أعدّتـــهُ فـــي خلوتهـــا. قالـــت بصـــوتٍ يمـــلأ الآفـــاق: ظننـــتم أنَّ ســـحركم ووهمكـــم ســـيغلبُ نـــور الحـــق؟ ظننـــتم أنَّ عقـــد الســـحرة ونفـــث الـــدجالين ســـيطفئ شـــمس نواريا؟

بـــدأت لوســـين تقـــرأُ بصـــوتٍ عـــذبٍ ومزلـــزل آيـــاتٍ مـــن الـــذكر الحكـــيم؛ بـــدأت بـــ (آيـــة الكرســـي)، فـــاهتزت أركـــان القصـــر، وبـــدأ الـــدخان الأســـود المنبعـــث مـــن القـــارورة يرتـــدُّ علـــى صـــدر ناثـــان. كانـــت لوســـين تنفـــثُ فـــي الإنـــاء الـــذي يحـــوي مـــاءً طـــاهرًا، وتقـــرأُ المعـــوذتين وفـــواتح البقـــرة، وكلمـــا انتهـــت مـــن آيـــة، تضـــاعف الضـــياءُ حـــول جســـدها، وبـــدأ المســـحوقُ الســـحري المنشـــور فـــي الأركـــان يتطـــاير كالهبـــاء، باحثًـــا عـــن مخـــرجٍ مـــن ســـطوةِ كلام الله.

الفصل الثاني والعشرون

في ذروة المواجهة، رفعت لوسين يدها وسكبت الماء المقروء عليه (الرقية الشرعية) في أرجاء الردهة. وما إن لامس الماءُ الطاهر ذرات المسحوق المسحور، حتّى حدث انفجارٌ من النور الأبيض، وتعالت صرخاتٌ مكتومة لشياطين السحر الذين تهاووا محترقين.

ارتدَّ "سائل التلاشي" على الوزير ناثان وجسده، فبدأ يتلاشى هو من الوجود أمام أعين الجميع، وكأنَّ الأرض ترفضُ حمله. صاحت لوسين بيقينٍ هزَّ العرش: جاء الحقُّ وزهق الباطل، إنَّ الباطلَ كان زهوقًا!".

تحولت قارورة السم إلى زهورٍ ذابلة، وانقلب السحرُ على الساحر؛ ففي تلك اللحظة، سقط الدجالُ في واديه ميتًا

بحسرتِه، وانمحت عُقده التي عقدها. عاد القصرُ يلمعُ ببريقٍ أقوى مما كان، وفاضت النوافير بماءٍ طيبٍ مبارك.

ارتمت مريميّة في حضن أمها جلبهار وهي تبكي فرحًا، ليس خوفًا من السحر، بل شكرًا لربها الذي نصرها بكلماته. نظر إليها آدم بذهول وهو يرى ملكته تهزم جيوش الشياطين بـ "إناء ماءٍ ويقين قلب"، وقال بخشوع: الآن عرفتُ يا مولاتي، أنَّ حصن نواريا ليس في أسوارها، بل في إيمان مَن يجلس على عرشها.

وفي ذلك اليوم، كُتب على بوابة نواريا بحروفٍ من ذهب: لا يفلحُ الساحرُ حيثُ أتى.. هنا مَمْلَكةُ اليقين.

الفصل الثالث والعشرين

لم يكن انتصار "لوسين" على السحر في نواريا نهاية المطاف، بل كان دافعًا لها لتمدَّ يد العون لذلك العالم الذي فرت منه. قررت لوسين أن تعبر بوابات الزمن عائدةً إلى عالم البشر، لا لتعيش فيه، بل لتبذر فيه "بذور اليقين". استدعت الحكيم أثير الذي أحضر لها "سائل التقوى" المستخلص من دموع العابدين ونور الفجر، و"مسحوق الصلاح" الذي نُفثت فيه بركاتُ الرضا.

قالت لوسين لآدم ولأمها جلبهار: سأذهب لأضع هذا السائل في أنهارهم، وأذرُّ هذا المسحوق في رياحهم؛ لعلَّ القلوب الغافلة تستفيق، ولعلَّ الذين أتعبهم الفقر والظلم يتذكرون أنَّ لهم ربًّا رحيمًا لا ينسى أحدًا.

عبـــرت لوســـين بوابـــة الضـــوء، ووجـــدت نفســـها تقـــفُ عنـــد ضـــفاف نهـــرٍ عظـــيم فـــي عـــالم البشـــر. كانـــت تبـــدو كحلـــمٍ هـــارب مـــن الأســـاطير؛ ثوبهـــا الأبـــيض يفـــيضُ نـــورًا، ووجههـــا بيـــاضُ الـــثلج يشـــعُّ طهـــرًا. اقتربـــت مـــن ضـــفة النهـــر، وســـكبت "ســـائل التقـــوى" بتمهـــل، فمـــا إن لامـــس المـــاءُ العـــذب حتّـــى تحـــول لونـــه للحظـــاتٍ إلـــى فيـــروزٍ لامـــع، وانطلقـــت منـــهُ ذبـــذباتٌ مـــن الســـكينة ســـرت فـــي مجـــرى النهـــر لتصـــل إلـــى كـــل بيـــتٍ يشربُ منهُ البشر.

ثُـــمَّ وقفـــت فـــوق تلـــةٍ عاليـــة، وفتحـــت كفيهـــا الصـــغيرتين لتـــذرَّ "مســـحوق التقـــوى" مـــع الـــريح. وفـــي ثـــوانٍ، تغيـــرت رائحـــة الهـــواء؛ لـــم تعـــد رائحـــة عـــوادم أو غبـــار، بـــل أصـــبحت رائحـــة "مِســـكٍ مريـــومي" عجيـــب. كـــل مـــن استنشـــق تلـــك الـــريح فـــي المـــدن والقـــرى، شـــعر

بغصةٍ تذوب في صدره، وبدافعٍ خفي يدفعه للسجود لله الواحد القهار، ويتنبهُ للغاية التي خُلق لأجلها: عبادةُ الله وحده لا شريك له.

بينما كانت لوسين تُنهي مهمتها، كان هناك صخبٌ يقترب؛ موكبٌ ملكيٌ عظيم يمرُّ بالصدفة عبر تلك التلة. كان الملك "جيد"، حاكمُ الممالك السبع في ذلك العصر، يقودُ جيشه. توقف الملكُ فجأة حينَ استنشق تلك الرائحة السماوية، ووقع بصره على تلك "الحورية" الواقفة فوق التلة، والريحُ تعبثُ بشعرها الفاحم وتكشفُ عن لمعةِ عينيها البنيتين الساحرتين.

ساد الصمتُ في المكان، وترجل الملكُ "جيد" عن جواده، مسحورًا بما يرى. لم يرَ في حياته، رغم كثرة جواريه ونسائه،

جمـالًا ينبـعُ مـن الـداخل مثـل جمـال لوسـين. لـم يكـن جمـالًا جسـديًا فحسـب، بـل كانـت الهيبـةُ التـي تحـيط بهـا تجعلـهُ يشـعرُ بأنَّـهُ قـزمٌ أمـام جلالها.

تقـدم الملـكُ نحوهـا، وعينـاه تفيضـان ذهـولًا وإعجابًـا، وقـال بصـوتٍ يمـلأه الانبهـار: أيتهـا السـيدة.. أيُّ أرضٍ أنجبتـكِ؟ وأيُّ سـماءٍ صـاغت هـذا الحُسـن؟ لقـد عبـرتُ الممالـك شـرقًا وغربًـا، ومـا رأيـتُ شمسًـا تشـرقُ فـي وضح النهار مثلكِ.

نظـرت إليـهِ لوسـين بهـدوءٍ ملكـي، ولـم تضـطرب رشـاقتها، وقالـت بصـوتٍ رزيـن: أنـا ابنـةُ الأرض التـي نسـيتُموها، جئـتُ لأذكـركم بـأنَّ الملـكَ لله وحـده، وأنَّ كـلَّ هـذا الجـاه زائـلٌ إلا ما كان لوجههِ الكريم.

لـم يسـتوعب الملـك "جيـد" كلمـات الزهـد، بـل غـرق فـي بحـرِ غـرامٍ مـن النظـرةِ الأولـى. قـال لهـا بشـغفٍ لـم يعرفـهُ مـن قبـل: لا يهمنـي مـن أيـنَ جئـتِ، ولا تهمنـي رسـالتكِ. أنـتِ مُنـذُ هـذهِ اللحظـة مِلْـكٌ لقلبـي. أريـدكِ زوجـةً لـي، ملكـةً علـى الممالـك السـبع، سـتنامين علـى ذهـب، وتـأمرين فيُطـاع أمـركِ. سـأبني لـكِ قصـرًا مـن الياقوت يُنافسُ النجوم بجماله.

ابتسـمت لوسـين ابتسـامةً فيهـا عـزةُ ملكـات نواريـا، وقالـت: يـا هـذا.. إنَّ قصـرًا فـي نواريـا مبنـيٌ علـى الرضـا، خيـرٌ مـن ممالكـك السـبع المبنيـة علـى الغـرور. قلبـي لـيس للبيـع أو الإهداء، فقد نُذر لصاحب الملك الحقيقي.

لكـنَّ الملـك "جيـد" لـم يكـن معتـادًا علـى الـرفض؛ فإعجابـه الشـديد تحـول إلـى إصـرارٍ مجنـون. أمـر حراسـه بمحاصـرة التلـة، لـيس

رغبةً في أذاها، بل رغبةً في "امتلاك" هذا النور الذي سحر لُبّه. وقف آدم، الذي كان يُراقبها من خلف بوابة الزمن، مستعدًا للتدخل بسيفه، لكنَّ لوسين رفعت يدها لتهدئته.

نظرت للملك وقالت بصرامة: أرَدْتَ الجمال، فأعماك عن الحق. لقد جئتُ لأحرر قلوبكم من عبودية البشر، فأردتَ أنتَ أن تستعبدني؟

في تلك اللحظة، بدأ "مسحوق التقوى" الذي ذرته لوسين يتفاعل مع قلب الملك، فبدأ يشعرُ بصراعٍ داخلي رهيب؛ بين رغبته الجامحة في امتلاكها، وبين شعورٍ بالخشية والمهابة بدأ يتسلل لروحه لأول مرة.

الفصل الرابع والعشرون

لم يكن الملك "جيد" ملكًا عاديًا، بل كان "جيد" اسمًا على مسمى؛ فقد نفذ "مسحوق التقوى" إلى أعماق روحه، فلم يجد فيها خبثًا، بل وجد قلبًا نقيًا كان ينتظرُ شرارة اليقين. انطفأت في عينه أطماع الملوك، وبقيت فيها لهفة المحب الذي رأى في "لوسين" وجه الحق والجمال معًا.

لأول مرة في تاريخ حياتها، شعرت لوسين بزلزالٍ يهزُّ أركان قلبها الذي كان كالحصن المنيع. نظرت إلى الملك "جيد"، فلم تجد فيهِ غطرسة والدها، ولا دناءة وطمع أقاربها. وجدت رجلًا يمتلكُ شجاعة الفرسان وأدب العابدين. أحبتهُ لا لتاجه، بل لأخلاقه التي تجلت حينَ ترجل عن جواده ليقف أمامها موقف المستسلم لا الغازي.

أحبتــهُ لحنانــهِ الــذي ظهــر فــي نبــرة صــوته، ولخوفــه مــن الله الــذي بــدأ ينمــو فــي صــدره كشــجرةٍ طيبــة. كــان حبًــا طــاهرًا شــريفًا، حبًــا لا يطلــبُ وصــالًا محرمًــا، بــل يطلــبُ ســكينة الــروح. ولأول مــرة، همســت لوســين لنفســها وهــي تلمــس شــامة وجههــا التــي توهجــت بلــونٍ وردي دافــئ: أهــذا هــو الحــب الــذي حُرمــت منــه؟ أهــذا هــو الأمــان الــذي كنــتُ أبحث عنهُ خلف أبواب القبو؟

وقــف الملــك "جيــد" أمــام لوســين، وخلــع تاجــه المرصــع باليــاقوت ووضــعه تحــت قــدميها، وقــال بصــوتٍ يملــؤه اليقــين: يــا لوســين.. إن كــان طريقــكِ إلــى نواريــا يتطلــبُ تــرك الممالــك الســبع، فأنــا أول الــراحلين. مــا قيمــة الملــك إذا خلــت الــروح مــن النــور؟ ومــا قيمــة العــرش إذا لــم تكــن لوســين شــريكة الســجود فيــه؟ أنــا

معــكِ، لــيس كملــك، بــل كعابــدٍ فــي محــراب طهركِ، وحارسٍ لرسالتكِ.

كانــت هــذهِ الكلمــات هــي المفتــاح الــذي شــرع أبــواب قلبهــا؛ فقــد رأت فيــه الرجــل الــذي يســتحق أن تعبــر معــهُ بوابــات العصــور. قــررت لوســين أن يبقــى الملــك معهــا فــي عــالم البشــر لســنوات، لــيعملا معًــا علــى نشــر "ســائل التقــوى" وتطهيــر القلــوب، قبــل أن يعــودا سويًا إلى نواريا.

مــرت الســنون فــي عــالم البشــر، ولوســين والملــك "جيــد" يطوفــان الأرض، يزرعــان الصــلاح ويمســحان دمــع المظلــوم. تحولــت مريميّــة فــي نظــر النــاس إلــى "قديســة الشــتاء"، وتحــول الملــك إلــى "العــادل الزاهــد". كــان حبهمــا يــزداد مــع كــل ســجدة، ومع كل لقمة يقتسمانها مع فقير.

أمَّا في نواريا (العصر المريومي)، فقد كان الزمن يسيرُ بإيقاعٍ مختلف. مرت عشرُ سنواتٍ ونواريا في حدادٍ صامت. الوردُ الأحمر بدأ يميلُ لونه للداكن، والينابيعُ كفت عن الهسيس، والجليلة تقفُ كل يومٍ عند بوابة الزمن بانتظارِ طيفِ ابنتها. ساد الحزنُ الأرجاء، وبدأ أهلُ العصر المريومي يتهامسون بكلماتٍ تقطعُ الأنفاس: لقد ضاعت لوسين في دهاليز الزمن.. لوسين ماتت في عالم البشر الغادر.. ملكتُنا لن تعود.

حتّى "آدم"، الحارس الوفي، كان يجلسُ عند عتبة القصر، يشحذُ سيفه بدموعه، ويقول لـ "جلبهار" التي لم ينقطع أملها بربها: لقد غابت طويلًا يا أمي.. أخافُ أن يكون عالمنا الموحش قد التهم رقتها.

وفي اللحظة التي ظن فيها الجميع أنَّ الأمل قد انتحر، انشقت السماءُ في نواريا عن بريقٍ لم يعهدوه. ظهرت بوابةُ الزمن، وخرجت منها لوسين، تزدادُ وقارًا وجمالًا، وبجانبها رجلٌ تلوحُ على وجهه سيماءُ الصالحين، يمسكُ يدها بخشوعٍ ومودة.

ركضت نواريا بأشجارها وطيورها لاستقبالهما. اهتزت الأرضُ فرحًا، وانفجرت الينابيعُ بماءٍ عذبٍ زلال. تقدمت لوسين نحو الجليلة وأمها جلبهار، وقالت وهي تشيرُ للملك "جيد": لقد غبتُ لأحضر لنواريا قلبًا مؤمنًا، ولأثبت أنَّ طهر الروح يجذبُ طهر الروح. هذا (جيد)، ملكُ الممالك الذي اختار ملكوت الله، ليكون معي في حراسة العصر المريومي.

فـــي تلـــك الليلـــة، أقيمـــت أطـــول صـــلاة شـــكر فـــي تـــاريخ نواريـــا، وعـــرف الجميـــع أنَّ لوســـين لـــم تمـــت، بـــل كانـــت تولـــدُ مـــن جديـــد فـــي رحـــاب حـــبٍ لا يعـــرفُ الفنـــاء، حـــبٍ بـــدأ فـــي الـــدنيا وسيســـتمر في جنّات النعيم.

الفصل الخامس والعشرون

انشقت سماء نواريا عن بريقٍ أرجواني لم يسبق له مثيل، وانفتحت بوابةُ الزمن لتهبط منها الملكة لوسين، يحيط بها بهاءُ السنين التي قضتها في عالم البشر. كانت تمسك بيد الملك "جيد"، الذي تخلى عن تيجان الأرض ليفوز بقلب ابنة النور. كانت العودة مهيبة؛ فالورد الأحمر الذي ذبل في غيابها استقام فجأة وتفتحت بتلاته وهي تنثرُ عطر الاستقبال، والطيور المريومية غردت بألحانٍ لم تُعزف منذ عقدٍ من الزمان.

هرعت مريميّة (لوسين) نحو ردهة القصر، تبحثُ بعينيها عن الوجوه التي ألفتها. رأت أمها "جلبهار" التي بكت فرحًا، ورأت "الجليلة" الواقفة بوقارها المعهود. لكنَّ شيئًا ما كان ينقصُ هذا المشهد؛ شيءٌ هزَّ كيان لوسين وأشعرها بفراغٍ قاتل.

التفتت لوسين يمينًا ويسارًا، وصاحت بصوتٍ يملؤه القلق: أمي.. أيتها الجليلة.. أين آدم؟ أين حارسي الوفي الذي تركتهُ يشحذ سيفه عند العتبة؟ لماذا لا أرى ظله يحرس المداخل؟ هل أصابه مكروهٌ في غيبتي؟

ساد صمتٌ عجيب، ونظرت الجليلة إلى الملك "جيد" بابتسامةٍ غامضة، ثُمَّ اقتربت من لوسين ولمست شامة وجهها برقة، وقالت: يا لوسين، يا ملكة اليقين.. آدم لم يبرح مكانه قط، لكنَّهُ لم يعد يحتاج للسيف ليحرسكِ، فقد أصبح يحرسكِ بنبض قلبه.

عقدت لوسين حاجبيها بذهول، ونظرت إلى الملك "جيد" الواقف بجانبها، فلاحظت لأول مرة أنَّ ملامحه بدأت تتغير تحت ضوء نواريا الساحر. بدأت هالةُ الملك تندمجُ مع

روح الفارس؛ تلك النظرة التي أحبتها في "جيد" هي ذاتها نظرة الشهامة التي رأتُها في "آدم" يومًا ما.

ضحكت الجليلة ضحكةً تشبه رنين البلور وقالت: يا ابنتي، آدم الذي جاء من زمنٍ غابر لم يكن بشرًا عاديًا، بل كان روحًا حُبست في (لعنة الانتظار). كان عليه أن يحرسكِ بصمتٍ دون أن ينطق بحبه، وكانت لعنته تقتضي ألا يستعيد حقيقته إلا إذا استطاع أن يخترق قلبكِ وهو في صورةٍ أخرى، بعيدًا عن درع الحراسة وصمت الخادم.

تابعت الجليلة والتفاصيل تملأ المكان: حينَ عبرتِ أنتِ للزمن الآخر، سمح لنا القدر أن نرسل روح آدم لتتجسد في صورة الملك (جيد). كان الاختبار هو: هل سيحبكِ آدم

الملـــك كمـــا أحبـــكِ آدم الحـــارس؟ وهـــل ســـيقعُ فـــي غـــرام طهـــركِ لدرجـــة التضـــحية بعرشـــه؟ ومـــا إن نطـــق الملـــك (جيـــد) بكلمـــة الحـــب الطـــاهر، وفككـــتِ أنـــتِ حصـــون قلبـــكِ لـــه، انكسرت اللعنة القديمة.

فـــي تلـــك اللحظـــة، حـــدث انفجـــارٌ مـــن الضـــوء الأبـــيض حـــول الملـــك "جيـــد". تلاشـــت ثيـــاب الملكيـــة لتتحـــول إلـــى رداءٍ يجمـــع بـــين درع المحـــارب ووقـــار الملـــوك. نظـــر الملـــك آدم إلـــى لوســـين بعينـــين تلمعـــان بـــدموعٍ محبوســـة منـــذ قـــرون، وقـــال بصـــوتٍ هـــو مـــزيجٌ مـــن بحـــة آدم ورقـــي جيـــد: يـــا لوســـين.. كنـــتُ أحرســـكِ بالســـيف وأنـــا أمـــوتُ شـــوقًا لأن أقولهـــا، ورحلـــتُ خلفـــكِ عبـــر الـــزمن لأثبـــت لـــكِ أنَّ الـــروح التـــي أحبتـــكِ فـــي زمـــنٍ غـــابر هـــي ذاتهـــا التـــي ســـجدت لله شـــكرًا حـــينَ وجـــدتكِ فـــي عـــالم

الملـــوك. أنـــا آدمـــكِ يـــا لوســـين.. وأنـــا جيـــدُكِ الذي لا ينحني إلا لكِ ولخالقكِ.

انهـــارت لوســـين باكيـــة مـــن شـــدة الفـــرح والـــذهول، وفهمـــت الآن لمـــاذا اختفـــى آدم مـــن العصـــر المريـــومي بمجـــرد أن وقـــع الملـــك فـــي غرامهـــا فـــي عـــالم البشـــر؛ لقـــد كـــان رحـــيلًا للجســـــد ليلتحـــــق بـــــالروح. اختفـــــى "آدم الحـــــارس" المكســـــور باللعنـــــة، ليولـــــد "آدم الملك" المتوج بالحب واليقين.

ضـــجَّ القصـــرُ بالتهليـــل، وتحولـــت الجـــدران إلـــى اللـــــون الـــــذهبي المتـــــوهج. أدرك الجميـــــع أنَّ الرحلـــة التـــي قضـــتها لوســـين فـــي عـــالم البشـــر لـــم تكـــن لتطهيـــر النـــاس فحســـب، بـــل كانـــت لتطهيـــــر "آدم" أيضًـــــا مـــــن بقايـــــا زمنـــــه المـــوحش، ولتجهيـــزه ليكـــون شـــريكًا حقيقيًـــا في حكم نواريا.

اقتربت جلبهار من ابنتها ومن آدم، ووضعت يديهما معًا وقالت: الآن اكتملت الدائرة. البلاءُ صنع منكما ملكين، والحبُ صهركما في روحٍ واحدة. نواريا لم تعد بحاجةٍ لحارس، لأنَّ الحبَّ هو أقوى الحراس.

قضى الجميع ليلةً من أغرب ليالي العمر؛ حيثُ كان آدم يحكي للوسين كيف كان يشعر بآلامها وهو حارس، وكيف كان يرتجفُ حينَ يراها وهو ملك، وكيف أنَّ العصر المريومي كافأه على صبرهِ وسنوات انتظاره بأن جعلهُ هو الشخص الذي اختاره قلب لوسين دون أن تدري أنَّهُ هو نفسه "آدم الطيبين".

الفصل السادس والعشرون

ميثاقُ النواريا.. والعهدُ الجديد

مـــرّت الســـنون علـــى نواريـــا وهـــي فـــي أزهـــى عصـــورها، حيـــثُ عاشـــت الملكـــة لوســـين مـــع زوجهـــا الملـــك آدم (جيـــد) حيـــاةً ملؤهـــا الرضـــا والســـكينة. ولكـــن، وكمـــا هـــي ســـنة الكـــون، بـــدأت ريـــاحُ عـــالم البشـــر مـــن بعيـــد تنقـــلُ أصـــداء انتكاســـةٍ جديـــدة؛ غابـــت التقـــوى عـــن بعـــض القلـــوب مـــرة أخـــرى، وبـــدأ الجشـــع يطـــلُّ برأســـه، وكـــأنَّ البشـــر يحتـــاجون دائمًـــا لنفحـــةٍ تذكرهم بأصلهم الطاهر.

فـــي تلـــك الأيـــام، كانـــت لوســـين تحمـــلُ فـــي أحشـــائها ثمـــرة حبهـــا العظـــيم مـــن آدم. وحـــين وضـــعت طفلتهـــا، لـــم تكـــن طفلـــةً عاديـــة، بـــل كانـــت كائنًـــا يفـــيضُ نـــورًا لدرجـــة أنَّ الـــورد الأحمـــر كـــان ينحنـــي لهـــا إجـــلالًا كلمـــا مـــرت.

سمّتها "تولين"، ومعنى اسمها "نور القمر" أو "الزهرة المحيطة بالضوء".

نظرت لوسين إلى طفلتها الصغيرة، ثُمَّ نظرت إلى الجليلة والحكيم أثير، وقالت بيقين الملكات الصالحات: نواريا لا تستأثر بالجمال لنفسها بينما العالم يغرق في الظلام. سأضع بذرة روحي وطهر قلبي في هذهِ الصغيرة، وأرسلها إلى عالم البشر، لتكون ميزانًا للحق ونبراسًا للتائهين.

بكت جلبهار تأثرًا، لكنها علمت أنَّ ابنتها مريميّة قد أصبحت "أُمًّا للعالمين". وبمراسم مهيبة، نُفثت في "تولين" أسرار نواريا، ووُضعت في قلبها "لمعة اليقين" التي لا تنطفئ، ثُمَّ حُملت عبر بوابات الزمن لتوضع في كنف عائلة صالحة في عالم

البشـــر، لتكبـــر هنـــاك وتُعيـــد صـــياغة التـــاريخ بنور قلبها.

بعد مرور سنواتٍ طويلة في عالم البشر..

فـــي إحـــدى قـــرى الأرض التـــي أرهقهـــا الصـــراع، كانـــت هنـــاك فتـــاةٌ يافعـــة تُـــدعى "تـــولين". لـــم تكـــن تعـــرفُ ســـرها، لكـــنَّ النـــاس كـــانوا يلاحظـــون أنَّ المكـــان الـــذي تحـــلُّ فيـــهِ يزهـــرُ فجـــأة، وأنَّ الضـــيق الـــذي يســـكنُ الصـــدور يتبـــددُ بمجـــرد رؤيـــة وجههـــا الـــذي يُشبهُ بياض الثلج.

وفـــي ليلـــةٍ هادئـــة، وقفـــت تـــولين أمـــام نافـــذتها تنظـــرُ إلـــى القمـــر، فلاحظـــت شـــيئًا غريبًـــا؛ شـــامةً رقيقـــة بـــدأت تظهـــرُ علـــى وجههـــا، تلمـــعُ بضـــوءٍ أرجـــواني خافـــت. لمســـت تـــولين الشـــامة، فســـمعت فـــي أعمـــاق روحهـــا صـــوتًا حنونًـــا يهمـــس: أنـــتِ ابنـــة نواريـــا.. أنـــتِ امتـــدادُ

لوســـين.. املئـــي الأرض بالرضـــا، فالشـــتاءُ يرحلُ بابتسامةِ قلبكِ.

فـــي تلـــك اللحظـــة، وفـــي البعـــد الآخـــر، كانـــت لوســـين تقـــف بجـــوار آدم فـــوق شـــرفة القصـــر المريـــومي، تنظـــرُ نحـــو الأفـــق البعيـــد بابتســـامةٍ مطمئنـــة. رأت لمعـــة ابنتهـــا "تـــولين" تشـــرقُ فـــي عـــالم البشـــر، فأمســـكت يـــد آدم وقالـــت: الآن يـــا آدم.. نامـــت نواريـــا بســـلام، فالبـــذرةُ قـــد نبتت، والحكايةُ لن تنتهي أبدًا.

أُغلقـــت بوابـــاتُ نواريـــا بـــبطء، وتلاشـــت الأنـــوار الأرجوانيـــة لتتـــرك الكـــون فـــي حالـــة مـــن الســـكينة، بينمـــا ظـــلَّ اســـم "مريميّـــة" و"لوســـين" و"تـــولين" يتـــرددُ فـــي أنفـــاس الـــريح كدســـتورٍ خالـــد لكـــل مَـــن أراد أن يعبـــر من ضيق الدنيا إلى سعةِ اليقين.

تمّت بحمدِ الله